

قافلة الزيت

محرم ١٤٠٢هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٩٨١م



باقة من زهور القصيم .

قافلة الزيت

العدد الاول - المجلد الثلاثون
محرم ١٤٠٢هـ / اكتوبر - نوفمبر ١٩٨١م

تصدر شهريا عن شركة ارامكو لموظفيها
ادارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجانا

•

المدير العام: فيصل محمد البسام

المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب

رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد: عوني ابو كشك

•

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
- كل ما ينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

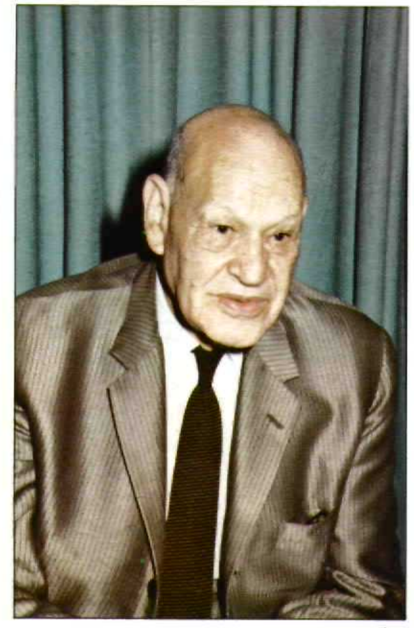
طباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
المملكة العربية السعودية



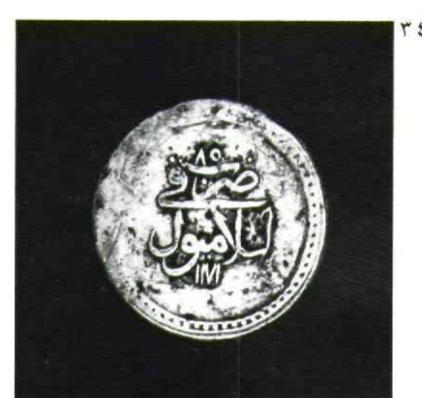
الحاصدة تجز سنابل القمح العسجدية
في القصيم. تصوير: مالكوم نوبل



١٨



١٠



٣٤

استراتيجية الرسول العسكرية الإنسانية معالم الخلود في الرسالة العظمى

بقلم : د. محمد جبر - سورية

برسالة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، يتعانق الفكر والوحي والإيمان ، ولهذه الرسالة رجال حملوا شعلة الإيمان فأضاءوا بها الدنيا وسطروا بعقيدتهم ملحمة التاريخ الكبرى .

على العرب أن يتخذوا من استراتيجية الرسول العربي عليه الصلاة والسلام ، العسكرية منطلقا لهم لإحراز النصر على عدوهم ، والمساهمة في تحقيق إنسانية الإنسان .. وبناء حضارة المستقبل .

بعد أن تلقى النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم ، رسالة النبوة من الله عز وجل عن طريق الوحي .. بدأ يلتحق به المؤمنون من الرجال الذين آمنوا به وبدعوته الحنيفية واحدا تلو الآخر .. وبدأت اجتماعاته السرية في مطلع دعوته بدار الأرقم .. وأشتد أذى المشركين لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وصحبه ، وبدأوا يكيدون له المؤامرات من كل جانب وصوب . هاجر إلى المدينة هو ومن بايعه على الهجرة والجهاد في سبيل الله ونشر دعوته الإسلامية الحنيفية ونصرتها . وزادت هجمات المشركين وشراستهم على الدعوة ونبيها الكريم وصحبه والتمثيل بهم ، وجاءت غزوة بدر وإنتهت بنصر المؤمنين وتلاها غزوة أحد والخندق .. غزوات ثلاث وطابعهم الدفاع عن الدعوة الحنيفية .



وجاء البشر بالنصر والفتح القريب المبين من الله عز وجل .. من السرية في الدعوة إلى الدفاع عنها ، إلى إعلان الفتح والسير قدما نحو نشر الدعوة على وجه الدنيا .. وبدأ الرسول محمد ، صلى الله عليه وسلم ، يخط برسالته أحرف من نور ملحمة التاريخ الكبرى .. خلاص الإنسان من عبادة الأوثان ، إلى عبادة الواحد الأحد .. من الظلام إلى النور ، من العبودية ، إلى إرساء قواعد الحرية والمحبة والعدل والسلام .

صلح الحديبية .. ومؤشرات الفتح

لم يكن فتح مكة مجرد نصر عسكري فقط حققه الرسول العربي الكريم على قريش فحسب ، ولا عبارة عن خضوع عاصمة الجزيرة العربية للدين الجديد الذي نذرت نفسها لمعارضته وسحقه والوقوف في وجهه خلال ثمانية عشر عاما .. وإنما كان فتح مكة بمثابة مؤشر على طريق المد الاسلامي على صعيد المستقبل ، كما كان نقطة الإنطلاق للزحف المقدس الذي راح يتمدد ويتسع في كل الجهات .. داخل الجزيرة العربية وخارجها لنشر مبادئه السامية وإحقاق الحق والعدل والسلام ووضع الحجر الأساسي لبناء المجتمع العربي الإسلامي الجديد مجتمع الحضارة والرقي والتقدم للناس قاطبة .

ومن هنا جاءت أهمية هذا الفتح العظيم الذي سبق أن بشر به وحي السماء بعد صلح الحديبية مباشرة .

ففي الوقت الذي تم فيه توقيع صلح الحديبية بين الرسول صلوات الله عليه وبين القرشيين شعر المؤمنون بخيبة أمل كبرى لأن بنود الإتفاقية لم تكن في صالحهم ، أو أنهم هكذا فهموها .. ومن حقهم أن يفهموها كذلك لأنها جرحت كبرياءهم في تصورهم . وهذا ما جعل معظم الصحابة يشعرون بالألم والحرقة ، لذا قبلوا موقف نبيهم على مضض . ولم يخطر ببالهم أن بنود إتفاقية صلح الحديبية ترضي غرور المكيين وتحفظ كرامتهم ، في الوقت الذي حققت للرسول الكريم الفوز بكل ما يريده ، حقاً كما يؤكد مونتجوري وات في كتابه « محمد في مكة » وبناء على عدم إدراك الصحابة لأهمية هذا الصلح وإبعاده الإستراتيجية ، فقد أبدوا استياء خفيا وظاهرا على السواء . حتى أن الفاروق عمر بن الخطاب لم يتمكن من إخفاء ما يجول في أعماقه من عدم رضى بهذه الإتفاقية ، فجاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليحاوره ، ويقول له : يا رسول الله ألست برسول الله .. ؟ قال الرسول : بلى . قال عمر : أولسنا بالمسلمين .. ؟ قال الرسول : بلى . قال عمر : أوليسوا بالمشركين .. ؟ قال الرسول : بلى . قال عمر : فعلام نعطى الدنية في ديننا .. ؟ قال الرسول : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن يضيعني .

ولطالما ندم عمر كثيرا على حواره هذا مع رسول الله .. ولكن الحقيقة أن عمر كان يعبر في الواقع عن احساس الأكثرية العظمى من المؤمنين يومذاك ، ولو لم يسارع إلى فتح حواره هذا مع الرسول القائد لسارع كثيرون غيره إلى ذلك ، باعتبار انهم لم يكونوا يملكون ذلك الإستشفاف النبوي لصورة المستقبل .

وبعد توقيع إتفاقية الصلح ، وفي طريق عودة جحافل المؤمنين إلى المدينة .. عودة الناس الذين يلاحقهم شعور الخيبة لعدم سماح قريش لهم بزيارة البيت العتيق ، نزل الوحي السماوي قرآنا عجبا ليبشر المؤمنين بالفتح القريب : « **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيماً ، وينصرك الله نصراً عزيزاً** » (١) ، وشعر المؤمنون حيال هذه الآيات البينات بإنبثاقة أمل جديد سيشرق في حياتهم دون أن يعلموا متى ولا كيف .. ثم جاءت الأيام لتؤكد أصالة الموقف الذي أتخذه رسول الله ولتحقق صدق الإرهاصات والتنبوءات والقول الفصل في الفتح القريب الذي بشر به الذكر الحكيم .. وهكذا نجد مصطفى طلاس يعمد إلى تحليل شروط صلح الحديبية مستنتجا النقاط التالية في كتابه « الرسول العربي وفن الحرب » .. وهذه النقاط هي :

- كسب إحترام الرأي العام العربي بصورة عامة والمعتدلين في مكة بصورة خاصة بما أظهره المسلمون من إحترام للكعبة .
- إعتبار الرسول القائد ندا لقريش في المفاوضات ، أول إعتراف بالثورة الإسلامية .
- عزل قريش عن حلفائها يهود خيبر .
- أصبح المجال مفتوحا أمام الرسول العربي لكسب حلفاء جدد من القبائل العربية .
- إستقرار الجبهة الداخلية في الثورة الإسلامية الذي مكن الرسول العربي من التفرغ لنشر الدعوة .
- لقد أمن صلح الحديبية دخول المسلمين في العام التالي إلى مكة .

وجاءت الوقائع اللاحقة لتؤكد حتمية الفتح الذي كان الحجر الأساسي في فتح الطريق أمام الدعوة الإسلامية وإنسياحها لا في الجزيرة العربية وحدها فحسب ، بل في الشام والعراق والمغرب وحتى أقصى الشرق في آسيا وإيغالا في الغرب حتى أسبانيا وحدود فرنسا .

ولكن كيف تم هذا الفتح .. ؟

---

(١) سورة الفتح – الآية رقم (١) .

نقض الاتفاقية

تضمن صلح الحديبية فيما تضمن من بنود دخول من شاءت من القبائل في أي الحلفين وهكذا دخلت خزاعة في حلف النبي بينما دخلت بنو بكر في حلف قريش .

وما أن مضت على الهدنة سوى فترة زمنية وجيزة ، حتى أغارت قبيلة بنو بكر على قبيلة خزاعة ليلا ، فقد بيتوا لخزاعة وأغاروا عليها بالتعاون مع قريش بشكل خفي . وهذا يعني نقض قريش لإتفاقية الصلح إذ مدوا بالسلاح والعتاد ، وحيال نقض العهد ، لم يعد هنالك سلم وهذا ما أدت إليه مسيرة الأحداث إذ انتهت الهدنة قبل مرور عامين عليها على وجه التقريب ، إذ منهم من حدد المدة باثنين وعشرين شهرا كإبن سعد في « الطبقات الكبرى » ومنهم من حددها بسبعة أو ثمانية عشر شهرا كإبن كثير .

وهكذا سارع عمر بن سالم أحد وجهاء خزاعة إلى المدينة المنورة لينقل إلى النبي نبأ نقض قريش للعهد طالبا منه المؤازرة لقبيلته التي خسرت عشرين قتيلا أثناء غارة بكر عليها وما أن سمع الرسول كل شيء حتى قال له : نصرت يا عمر بن سالم .

قريش تراوغ

إلا أن قريشا أحست بالذنب وندمت على ما فعلت بدعمها لبني بكر ، فأوفدت أبا سفيان بن حرب إلى المدينة بهدف تجديد مواثيق الصلح . وما أن حطت قدماه تربة يثرب حتى توجه إلى بيت إبنته حبيبة زوجة الرسول .. فلما دخل عليها البيت ، هم أن يجلس على فراش الرسول ، فسارعت السيدة حبيبة إلى طي الفراش لئلا يجلس أبوها عليه . فقال لها : يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ .. فأجابته قائلة : بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله . فقال لها والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر .

وهكذا تركها أبو سفيان متوجها إلى الرسول وحينما كلمه فلم يرد عليه الرسول ، توجه إلى أبي بكر الصديق طالبا منه التوسط له عند النبي ، ألا أن الصديق اعتذر فذهب أبو سفيان إلى عمر بن الخطاب ، فسخر عمر من طلب أبي سفيان الشفاعة له ولقريش عند الرسول قائلا له : والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به . وهكذا حول أبو سفيان وجهته إلى الإمام علي بن أبي طالب وعنده الزهراء فاطمة بنت النبي وإبنها الحسن يدب على الأرض وحينما اعتذر الإمام علي لأبي سفيان ، التفت هذا إلى الزهراء قائلا : يا إبنة محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ فقالت السيدة فاطمة رضي الله عنها : والله ما بلغ بني ذلك أن يجير بين الناس ، وما يجير أحد على رسول الله .

وحينما أيقن أبو سفيان من إفلاسه ، قال للإمام علي : يا أبا الحسن ، إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحني . فنصحه الإمام علي ، أن يجير بين الناس ، مؤكدا له بشكل أو بآخر عدم وجود ما يغنيه في أزمته .. ومع ذلك انطلق أبو سفيان إلى المسجد وقال : أيها الناس ، إني قد أجرت بين الناس ، ثم عاد إلى مكة بخفي حنين .

فتح مكة منطلق لتوحيد العرب تحت راية الحق والعدل والسلام .. الفتح خطوة رائدة على طريق الفتوحات اللاحقة :

الطريق إلى مكة

لم ينتظر الرسول طويلا ، بل سارع إلى تجهيز نفسه للمعركة الفاصلة ، وأمر أهله بإعداد جهازه القتالي ، وأمر الناس بالإستعداد للزحف المقدس دون أن ينبئهم عن وجهته وما أن تم إستعداد الجيش للتحرك ، حتى أخبر رسول الله والهدى سائر الناس بأنه يريد مكة ، وأمرهم بإعداد العدة لذلك التحرك الكبير ، ثم رفع يديه إلى السماء داعيا : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » ، وشرع حسان بن ثابت في تحريض المؤمنين على الجهاد المقدس .

وأنطلق الرسول القائد في عشرة آلاف من جند الله الذين نذروا أنفسهم وأموالهم وأرواحهم للرسالة العظمى ، وكان فيهم المهاجرون والأنصار ومن أسلموا من قبيلتي سليم ومزينة وغيرهما ، أنطلق من المدينة لثلاث عشر ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان ، كما تفيد بعض الروايات ، بينما يؤكد ابن هشام وغيره ، بأنه تحرك من المدينة في العاشر من رمضان سنة ثمان للهجرة المصادف لأول من كانون الثاني لعام ستمائة وثلاثين للميلاد . وسار النبي بجيشه حتى نزل قرب الظهران غير بعيد عن مكة ولم تعلم قريش بتحركه ، مع أن حاطب بن أبي بلتعة بعث خبرا مع امرأة إلى أهل مكة بتحرك الجيش ، إلا أن السماء أعلمت الرسول بذلك ، فأرسل النبي من عادوا بالرسالة وحينما سأل النبي حاطبا عن سبب فعله هذا ، أقسم له بأنه مؤمن لم يغير ولم يبدل فعفى النبي عنه لأنه من أصحاب بدر ، وقال لعمر بن الخطاب الذي استأذن النبي في بتر عنقه : « ما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال : أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ، فأنزل الله قوله الحق : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** »**(٢)** . ولما نزلت جحافل الزحف المقدس من الظهران ، كان العباس بن عبد المطلب عم النبي ، قد خرج يستقصي الأخبار .. وما أن رأى ما رأى حتى قال بصوت عال : واصباح قريش . ثم جاء إلى علي قائلا له : لعلي أجد من أرسله إلى قريش ليخرجوا إلى الرسول فيأتوا ليستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة .. إلا أنه ما لبث أن سمع أبا سفيان وقد جاء مع من جاء لإستطلاع الخبر اليقين وهو يردد ، ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا قط ورهن الخوف أبا سفيان فوافق على طلب العباس بالذهاب إلى الرسول ليستأمنه وقبل الرسول شفاعة العباس الذي سبق أن أسلم كما أسلم أبو سفيان وشهد شهادة الحق .

(٢) سورة الممتحنة — الآية رقم (١) .

استراتيجية الرسول العسكرية منطلق للعرب لإحراز النصر على عدوهم والمساهمة في تحقيق إنسانية الإنسان :

الفتح والسلام

وهكذا حقق الرسول استراتيجيته الفذة لفتح مكة دون إزهاق دماء .. فيتم الفتح بسلام .. ويدخلها المؤمنون بسلام آمنين .. ولتضع قريش نفسها تحت راية الدين الجديد .. ولتغدو قريباً في عداد جيوش الفتح لنصرة الدين الجديد .

وما أن هم أبو سفيان بالإنصراف إلى مكة لإخبار قريش بإسلامه وبضرورة إستسلامها وبأن الرسول رفع شعار الأمن والسلام بقوله عليه السلام من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .. أقول ما أن هم أبو سفيان بالإنصراف إلى قومه ، حتى استوقفه العباس بمضيق الوادي بناء على طلب النبي حتى تمر كتائب الفتح من جيش الإيمان . فكلما مرت قبيلة قال له يا عباس من هذه ؟ فيجيبه العباس : هذه قبيلة سليم . فيقول أبو سفيان مالي وسليم .. وهكذا حتى مرت كتائب القبائل كلها تباعا حتى مر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلى الحدق من الحديد . ولما سأل أبو سفيان عنها ، أجابه العباس موضحا .. فقال أبو سفيان : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فنهره العباس قائلا : ويحك إنها النبوة ..

وأعلن أبو سفيان موافقته طوعا وكرها .

ادخلوها بسلام آمنين

وفي العشرين من رمضان المبارك للعام الثامن الهجري الموافق للواحد والعشرين من كانون الثاني لعام ستمائة وثلاثين للميلاد ، دخل جيش الإيمان مكة ، دخلها وعلى رأسه رسول الله دخول المنتصر .. أكبر نصر حققه منذ بعثته .. فدخل الرسول مكة ، وإنه ليضع رأسه تواضعا لله لما أكرمه الله به من الفتح العظيم .. وأمر الرسول قادة كتائبه أن لا يقتلوا أحدا ما لم يقاتلهم ، وتم الفتح بسلام عدا بعض المقاومة البسيطة من المتعنتين ، وخسر المسلمون شهيدين ، بينما قتل من المشركين ثلاثة عشر عدا الجرحى . وكان النبي قبل دخول مكة قد هدر دماء ستة رجال وأربع نساء بإعتبارهم مجرمي حرب . فمنهم من أسلم وارتد فقتل ، بينما هرب بعضهم ثم عاد إلى النبي مسلما فعفا عنه ، ومنهم من تم قتله رأسا .

في البيت الحرام

ولما جاء النبي إلى البيت العتيق طاف به سبعاً ، ثم وقف أمام الكعبة قائلا : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .. ثم قال : « يا معشر قريش ، ما تروني فاعل فيكم .. ؟ قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم . فقال إذهبوا فأنتم الطلقاء . ثم دخل إلى الكعبة وراح يحطم أصنامها مرددا قوله تعالى : « **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** » (٣) .

وهكذا حقق الرسول استراتيجيته العليا بفتح مكة دون سفك دماء ، لأنه حال بين قريش وبين معرفة تحركه ، مع أن من الصعوبة بمكان إخفاء تحرك جيش عدته عشرة آلاف مقاتل . نعم ، لقد حقق الرسول الكريم بفتح مكة الخطوة الأولى والهامة للبدء بتطبيق استراتيجيته العسكرية على صعيد الفتح اللاحق لنشر الدين الجديد عبر توحيد العرب تحت لواء قادر على مواصلة مسيرة الإيمان وتعميق الجهاد المقدس . وكان له ما أراد فما أن حل العام الحادي عشر للهجرة حتى كانت جيوشه تزحف نحو الشام ، وما أن حلّ العام الخامس عشر للهجرة حتى تم إسقاط الإمبراطورية الفارسية وطرد الروم من سورية بعد معركتي اليرموك والقادسية ، ثم توجهت جيوش الفتح لتتوغل في افريقيا عبر مصر وليبيا وتونس والجزائر غربا للعبور من مضيق جبل طارق إلى اسبانيا في الوقت الذي كان فيه جيش الاسلام يواصل فتوحاته في أقصى الشرق بعد فترة زمنية قصيرة .. وهو يحمل رسالة الحق والهدى إلى العالمين كافة ، وليضع حجر الأساس لحضارة الإنسان ..

والآن .. ثمة ملاحظة هامة أود إيرادها في هذه العجالة ، ورغم أهميتها فإن المؤرخين لم يتطرقوا لها لا من بعيد ولا من قريب ، ألا وهي ، إن القرآن الكريم الذي بشر الرسول والمؤمنين بفتح مكة قريباً في الآيات الأول من سورة الفتح بل بشرهم بالفتوحات اللاحقة ، وهذا واضح في الآية السادسة عشرة من سورة الفتح ذاتها وهي : « **قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون** » (٤) ، ولطالما اختلف المفسرون في كون القوم الذين سيقاتلونهم أهم عرب الجزيرة أم الشعوب المجاورة .. لكنما المنطق القرآني من جهة ، والمنطق التاريخي اللاحق من جهة ثانية يؤكد لنا بأن القوم الذين عناهم القرآن هم الفرس والروم بإعتبارهم أولي بأس شديد .. وهذا إن عنى شيئاً فإنما يعني أن إرهاصات الفتح كانت في حيز المستقبل منذ السنوات الأولى للهجرة ، وهذا ما يفسر قول الرسول إبان غزوة الأحزاب لصحابته الكرام .. الله أكبر أعطيت مفاتيح كسرى .. الله أكبر أعطيت قصور الشام .

ولكن السؤال المطروح : هل نستفيد نحن العرب من درس الفتح هذا .. والذي استهدف توحيد الأمة أولا .. وبالتالي هل نعمد إلى اتباع استراتيجية الرسول القائد لتحقيق وحدة الصف والكلمة وترسيخ قواعد الحق والعدل والسلام لنساهم في بناء حضارة المستقبل كما بنى الأجداد وأشادوا حضارة الأمس البعيد .

إنه الأمل .. وما هو على الصادقين ببعيد .

---

(٣) سورة الإسراء – الآية رقم (٨١) .
(٤) سورة الفتح – الآية رقم (١٦) .

حضارة اللغة العربية مطمورة تحت رمال الجزيرة العربية وكثبانها

بقلم : د. جميل محفوظ - سورية



من أجل دراسة موجزة وواضحة عن حضارة اللغة العربية قبل الجاهلية يجب علينا طرح فرضية راسخة الأسس واضحة المضمون ثم محاولة إثباتها أو رفضها . ومن أجل ذلك رأينا أن نذكر بعرض سريع كيفية تكوّن اللغة عند الطفل وتطورها عند الأقوام التي تعيش في عصرنا الحاضر ونبرز أهمية الوعي الفكري ، والثقافة في نمو اللغة وتكاملها . ونبين أهمية الكشوف الأثرية في هذا النحو :

فعندما يبدأ الطفل بمحاولاته الأولى في لفظ بعض الكلمات التي يكون قد سمعها من أبويه وممن يحيطون به يلفظها ناقصة مشوهة غير تامة ، ويكون بذلك قد تدرج في الفهم البسيط أولا بمساعدة الإشارات التي ترافق الكلام الموجه إليه من قبل هؤلاء ، وهنا نقول بأن إشارات وعي بدائي باشر الظهور ، ولما يتم نضج بعض الحواس المخصصة للتلقي . كالعين والأذن ، والجملة العصبية التي هي المسئولة عن الحواس ثم يتضح الوعي بظهور النضج فيه . وتتضح تعابير الطفل لفظا ومضمونا ، وهكذا يوما بعد يوم نلمس بأن لغة الطفل تنمو نموا مطردا مع فكرة الممثل بوعيه وزيادة خبراته .. فاللغة هي الوعي الذي يقود إلى الفكر ، وإذا تأملنا جيداً في لغة شعب من الشعوب نراها متطورة دائماً ، ويعود ذلك إلى سعة أفق ذلك الشعب وما تؤثر فيه من عوامل تطور لغته ، فهناك عامل الحاجة إلى مدلولات لمفاهيم أدخلت عليه بحكم ظروف حياته ، وليس أدل على ذلك من لغة الشعب التركي الذي كان بحاجة للفارسية ، فاستعار منها كلمات وتعابير كثيرة جدا والذي أدخل إلى صلب لغته كلمات وتعابير عربية كثيرة لا حصر لها ، وكذلك اقتبس من اللغات الأوروبية كالفرنسية واللاتينية . فاللغة التركية أصبحت مزيجا من اللغات حسب ظروف شعبها إلى أن حكمها مصطفى كمال باشا فحاول إبعاد ما ليس بتركيا في جذوره الأصلية عن هذه اللغة وأمعن في إبعاد اللغة التركية عن الفارسية والعربية ، فألغى الأبجدية العربية واستعاض عنها بأبجدية لاتينية . إن تطور اللغات ، عكف على دراستها في أواخر القرن التاسع عشر والعشرين علماء الاجتماع وعلماء النفس ، وربط جميعهم صفاء المفردات وقوة معانيها ودقة مدلولاتها إلى الفكر المتطور . وهكذا إذا شئت دراسة التعابير والمفردات المستخدمة من أجل ذلك في لغة ما ، فإنك ولا شك سترى الفرق الكبير بين صياغة الأوائل لها وصياغة المحدثين . وما أدل على ذلك من اللغة الفرنسية في القرون الوسطى ولغتهم في الوقت الحاضر . فراسين وفولتير تختلف تعابيرهما عن تعابير أناتول فرانس و.. و.. وليست الأمثلة في اللغة العربية بأقل وضوحا مما ذكرناه في اللغة الفرنسية . فأين قصائد امرؤ القيس ولبيد من قصائد شوقي وحافظ وعمر أبو ريشة ؟ لاشك في أن لغة الصحراء آنذاك لم تكن تشمل أكثر من مواقف البطولة والحب والغزو والخيل والجمال والكرم والشهامة . أما لغة الشعراء المعاصرين فهي تعبير عن فكر معاصر عرف الكهرباء والإلكترون ، والحياة الناعمة من مغريات المدينة ، والنوم الهنيء في القصور أو في بيوت وثيرة الأثاث لم يكن لينعم فيها آباؤنا الأولون من عرب البادية ، ولذا اختلفت التعابير في الوقت الحاضر عما كانت عليه في الجاهلية والإسلام .

ولكن خصائص هذه اللغة لم تختلف فبقيت لغة الإبداع والفكر . والخلاصة فان اللغة هي وليدة الوعي والفكر .. والفكر عندما يكون متطورا تكون اللغة متطورة .

لقد أتينا بالأمثلة السابقة لنتوصل إلى النتيجة الآتية : لم تكن اللغة العربية لغة محدودة الأفق ، بل بقيت لغة الفكر المتطور ، والفكر العميق في صوره وبلاغته وبالمفردات ذات الدلالات الدقيقة . اللغة العربية لغة غنية واسعة الآفاق يدل ذلك دلالة لا ريب فيها بأنها مرت في مسيرتها ، منذ نشأتها في المراحل التي مرت بها أكثر اللغات ولم تصل إلينا لغة جاهلية ثم إسلامية على النحو الذي نعرفه إلا بعد أن لمعت فيها مدنيات متعاقبة وصل فيها الفكر العربي إلى مرحلة سامية من العمق والأصالة ، وبذا فاننا على قناعة تامة بأن للعرب قبل جاهليتهم شموساً ساطعة من العلم والثقافة والحضارة والفنون ، ما لم يكن لأمة حضارية عاشت في تلك العصور السحيقة .

ونعتقد جازمين بأنه كان للعرب قبل الجاهلية صلات بالأقوام المجاورة وحضارة إنسانية واسعة الآفاق :

ويقول د . عبد الله حسن مصري ، مدير إدارة الآثار والوكيل المساعد لوزارة المعارف للشؤون الفنية في المملكة العربية السعودية ، في معرض اللقاء الذي أجرته معه « قافلة الزيت » ونشرته في عدد جمادى الأولى ١٤٠١هـ:

« من أهم ما عثرت عليه إدارة الآثار في المملكة العربية السعودية مؤخراً ، يتمثل في حجرين منقوشين وجدا خلال تنقيب محدود في موقع آثار تيماء ، ويعود تاريخهما إلى القرن السادس قبل الميلاد على أقل تقدير ، وكتب بالخط الآرامي القديم — وتبرز عليهما نقوش فريدة لبعض الرموز الوثنية .. التي كانت سائدة في منطقة الشرق الأوسط عامة .. مما يعزز الفكرة السائدة عن تيماء وأهميتها التاريخية والحضارية خلال الألف الأولى قبل الميلاد » .

إن ما جاء في قول الدكتور عبد الله مصري الآنف الذكر ، لدليل جديد وحاسم لما أطرحه من نظرية أيدتها منذ زمن بعيد ، ولم تتح لي الظروف عرضها لولا أن جاء الدكتور مصري فأعطانا فكرة عن الأماكن التي وقع عليها اختياره ليقوم فيها بحفريات تكشف عن حضارة عرب الجزيرة العميقة الجذور في التاريخ فيقول الدكتور مصري في عدد « القافلة » نفسه :

« أهم المناطق من الناحية الأثرية هما المنطقة الشرقية والمنطقة الشمالية الغربية .. ففيهما ينحصر أبرز معالم الآثار والحضارات القديمة التي شهدتها الجزيرة العربية قاطبة ، وبالنسبة للمنطقة الشرقية بالذات فإن مستقبل الأبحاث والدراسات التفصيلية يبشر باكتشافات مثيرة على كافة أصعدة الاهتمامات الأثرية . مثل تاريخ المناخ القديم والحياة النباتية والحيوانية المبكرة ، بالإضافة إلى قضايا أخرى ... إلى آخره » .

أليس في كل ذلك دلائل جدية وقاطعة بأن للمدنيات القديمة التي عاشت في العراق وسوريا كالسومرية والآرامية والبابلية والحثية والكلدانية والسريانية ، ومدنية تل حريري ، وايبلا ، مدنية مجاورة عاشت في الجزيرة العربية وعاشت معها لغة ذات حضارة عريقة هي العربية .

أما كون مديرية الآثار في المملكة قد اكتشفت حجرين منقوشين بنقوش وثنية وتحتويان على كتابات آرامية فدليل على أنهما مرسلان من دولة مجاورة إلى مملكة تيماء إذا جاز الفرض بأن لتيماء مدنية خاصة بها ، وقراءة هذه الكتابات من قبل المختصين سيكشف ما غمض عن إدارة الآثار في المملكة في الوقت الحاضر .

إنها فرضية ولكنني لا أزال أعتقد بأن المدنيات التي قامت في الجزيرة العربية هي مدنيات قد تتكلم لغات مختلفة ولكن اللغة العربية كانت من أهمها ، وان وصول عبقرية لغتنا إلى ما وصلت إليه في الجاهلية والإسلام ليس أمرا عارضا ، أو قليل الأهمية ولكنه ملفت للنظر حقاً ، فلغة كلغة العرب فيها غزارة المفردات ، والبلاغة والإيجاز ، والتراكيب التامة المبني والواضحة المعنى إنما هي لغة لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بعد تطور طويل .

فإذا حدث إذن أن فقدت من تاريخ الجزيرة العربية تلك الحلقات الغابرة حتى يبدأ المسؤولون اليوم ببذل الاهتمام ، كل الاهتمام بكشف ما غاص تحت الرمال ؟ وما أدل على ما نقول عما عثر عليه في تيماء من حجرين أثريين من القرن السادس قبل الميلاد .

فالنظرية الحقة برأينا أن هذا الإنقطاع بين الماضي وعصر الجاهلية إنما مرده إلى عوامل طبيعية أرضية أصابت شبه الجزيرة فخربت المدنيات وطمرتها الرمال التي ساقتها الرياح العاتية في نفس الوقت ، وإذا كان الدكتور مصري يقول في تصريحاته« فان مستقبل الأبحاث والدراسات التفصيلية يبشر بإكتشافات مثيرة على كافة الأصعدة والاهتمامات الأثرية مثل تاريخ المناخ القديم والحياة النباتية والحيوانية المبكرة بالإضافة إلى قضايا أخرى (ص—١٩) » .

فإن لهذه التصريحات أهمية كبرى . انها تبشر بحياة زراعية وأخرى حيوانية في مناخ يلائمها ، وهذا يجلب إلى الذهن التفكير بوجود حضارات كغيرها من حضارات الأقاليم الشمالية (كالعراق والأردن وسوريا) . وما حدث من عوامل طبيعية قاسية والرياح العاتية بنفس الوقت دفنت تحت التراب تلك المدنيات ولم يبق من البشر إلا بعض الأقوام العربية التي وصلتنا قليل من أخبارهم وهم الذين حفظوا لنا هذا التراث العظيم ألا وهو اللغة العربية — لغة الإعجاز — فاللغة المتطورة هي ولاشك وليدة وعي ومدنية وفكر متطور .

وليس من افتراض بالنسبة لنظريتي أوضح من أن للجزيرة العربية مدنيات عاصرت المدنيات المجاورة ومن أهمها المدنية العربية التي تركت أكبر أثر يمكن أن يدل عليها ألا وهي لغة الضاد . وعلى الدكتور عبد الله حسن مصري أن يكشف لنا عما طمرته الرمال تحت طياتها من آثار لمدينة قديمة . وعما إذا كان للغة العربية جذور أصيلة في هذه الأرض الطيبة تعود لما قبل الجاهلية .



حسناء الحجاز

شعر : ماجد ابراهيم العامري - المدينة المنورة

من الحسناء في حلل الجمال ... من الهيفاء في قمص الدلال
من الغراء ناضرة المحيا ... ودانية المباهج ... والمنال
ألندن وهي تغرق في ضباب ؟ ... وتبرز كل خالية .. وخال
وتجذب كل مندهش إليها ... كما انجذب الفراش إلى الذبال
أبكيّن .. المطرزة الحواشي ؟ ... أمدريد .. المعصفرة القذال ؟
مدائن كم تخبط في ظلام ... وتعشى أن تصير .. إلى الزوال
وتمتهن الحياة بكل معنى ... سوى معنى الفضيلة والحلال !!

* * *

من الحسناء نادرة المثال ... من الغنّاء طيبة الفعال
من الغيداء رائعة التثني ... وكاملة المحاسن والخصال
أبيروت الجميلة وهي تغفو ؟ ... بأحضان السواحل والجبال
أبغداد المليحة وهي تطفو ؟ ... على بحر من الماء ... الزلال
أمصر" حولها الأنهار تجري ؟ ... أم الفيحاء وارفة الظلال ؟
مدائن ذات تاريخ مجيد ... طويل الباع في دنيا المعالي
تهرول في دوائر مفرغات ... وتلعب باليمين .. وبالشمال !!

* * *

من الحسناء فائقة الجمال ... وبادية المهابة والكمال
يرين على محياها صفاء ... وتمتزج السكينة بالجلال
تقوم على بساط من خشوع ... وترقد بين اكناف الحلال

يضوع شذا الفضيلة في رباها ... وتنتشر المحبة في المجالي
ترفرف حولها .. أعلام سلم ... وتخفق فوقها .. سحب النوال
يطل من البعيد عريق ماض ... يخبر .. بالحضارات الخوالي
ويبرز للوجود .. طريف عهد ... يحدث .. بالتقدم .. والتعالي

* * *

تطوف بها فتختلج الحنايا ... وتبتدر المدامع بانهمال
تحلق في عوالم حالمات ... وتسبح في التأمل والخيال
ليشهد ان في ذا الكون ربّا ... عظيم الشأن .. مشهود الجلال
وأن محمدا خير البرايا ... رسول الله ... محمود الخصال
ونعم مقره في خير أرض ... يشد لها بأعناق الرحال
تتيه على البلاد بكل معنى ... وتفخر بالصناديد .. الفحال
تروقك منظرا وتشوق خبرا ... وتعجبك الأمور ... بأيّ حال
حللت بها على ظمأ وشوق ... وكان لقاؤنا فوق احتمالي
ورحت أكحل العينين منها ... ويلهج مِقْوَلي ... بالإبتهال
ومثل اللمح مرت من أمامي ... ملامحها .. وما برحت خيالي
فهذا بيت أحمد .. كم تهادى ... على أعتابه .. صوت النضال
وهذا سيد الشهداء .. حيّ ... على جنباتها .. دامي النصال
وكم نفس تشع سناً وطهراً ... لها عند البقيع .. نعيم حال
ولا أدري أأبدأ من قباء ... لقاءاتي .. وأردف بالعوالي
وأنشر من على سلع هيامي ... وأهتف بالعقيق بما بدا لي
بلى .. أدري .. فمن حيث انطلاقي ... فثم مبلّغي .. وبه اتصالي

* * *

تعج .. رياضها .. في كل وقت ... بآلاف الشداة .. إلى المعالي
لهم في ظلها .. فيض عميم ... وهم في نعمة .. ورضي بال
تراهم عاكفين .. على صلاة ... وقرآن .. وذكر .. وابتهال
وآداب .. وعلم .. واجتهاد ... وتوجيه . ورأب لاختلال
معالم .. في طريق أحمديّ ... تبشر .. بالغزير من الأمالي
دعاة يأمرون .. بكل عرف ... وتقنع بالمقام .. عن المقال
بناة ينهضون بكل مجد ... بغير محافل أو باحتفال
رعاة يرفلون بثوب عدل ... وللإنصاف برق في المجال
أولئك في الحياة شموس حق ... وأبعد ما يكون عن الضلال

* * *

من الحسناء نادرة المثال ... ورائدة المنابر والهلال
مقدسة المعالم والمعاني ... منورة الأصائل والليال
تهيب بكل من يأوى إليها ... مراعاة الأمانات. الثقال
وتسأله المودة والتفاني ... لتأخذه بأحضان الوصال
فهذى طيبة الطيبات حقا ... وجامعة المعارف والمعالي

ندوة حول :

تعريب الدراسة في الكل



ضيف : لقد أثبتت اللغة العربية ، من قديم ، أنها لغة أدب ولغة علم وكانت كذلك في العصر العباسي وما بعده .

الشنطي : الذي يريد التقدم لابد أن ينظر إلى الأمام .

هذه هي الندوة الثالثة في سلسلة الندوات التي تعقدها « القافلة » حول تعريب الدراسة في الكليات العلمية العربية ، وقد عقدت في القاهرة في أواخر شهر رجب ١٤٠١ هـ (مايو ١٩٨١ م) واشترك فيها خمسة من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة هم : الدكتور أحمد عمار ، الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، الدكتور شوقي ضيف ، الدكتور محمد أحمد سليمان . الدكتور محمود مختار عبد الرحيم ، والأستاذ عبد الله حسين الغامدي — رئيس تحرير قافلة الزيت .

وقد استهلت الندوة بطرح السؤال التالي :

• ما هو مدى نشاط مجمع اللغة العربية في القاهرة في مجال تعريب الدراسة في الكليات العلمية ؟

ضيف : المجمع منذ نشأته عني بهذا الموضوع في دوراته الأولى ، فكوّن لجانا ووضع خططا لترجمة المصطلحات العلمية ، تارة بالنقل وتارة بالتعريب ، وهو ماض في هذا السبيل . وجهد المجمع في القاهرة جهد ضخم ، لأنه وضع حتى الآن ما يزيد على ٦٠ ألف مصطلح علمي في مختلف العلوم والطب والهندسة والفيزيقا . وأكثر من ذلك وضع فعلا أو نشر معجمات خاصة بالفيزيقا النووية والجيولوجيا والجغرافيا ، وهو بصدد نشر معجمات جديدة في بعض العلوم الأخرى ، كالفيزيقا وغيرها .

وقد وضع المجمع اللغوي نصب عينيه تهيئة الصفوة الممتازة من العلماء المصريين الذين يعنون بالتعريب ووضع المهمة في أيديهم وهم ماضون فيها . وأكثر من ذلك أنه يعنى بأن تكون هذه المصطلحات عامة ، أو يحاول تعميمها في البلاد العربية . ففي كل سنة يعرض ما يصلح من مصطلحات على المؤتمر الذي يضم لفيفا من العلماء المصريين وعلماء البلدان العربية لتأخذ هذه المصطلحات شكلا جماعيا .. إذ من المعروف أنه ليس الغرض فقط ترجمة المصطلحات العلمية أو نقلها إلى العربية ، ولكن وراء ذلك غرضا مهما جدا وهو توحيدها في البلاد العربية . وكما نعلم فهناك من يتخذون الفرنسية لغة للعلوم في جامعاتهم ، أو الانجليزية ، ولذلك يحاول مجمع اللغة العربية أن يشيع ما يضع من مصطلحات في البلاد العربية عن طريق عقد مؤتمرات بحيث يرجع إليها العلماء حينما يعرّبون .

عمّار : التعريب موضوع قديم بحث مرات عدة في الماضي ، وقد روئي التريث قليلا إلى أن توضع أمهات الكتب الكبيرة عن أمراض النساء والجراحة والأمراض الباطنة بالعربية أولا ، ثم ننتقل إلى التدريس باللغة العربية . ولسوء الحظ لم يتم هذا إلى الآن . ولايزال الطالب يدرس في كتب باللغة الانجليزية رغم أن جزءاً كبيراً من المحاضرات يدرّس باللغة العربية . لكن لانزال ننتظر وضع كتب كاملة بالعربية ثم ننتقل . ولقد اقترحت في الماضي بأن يدرّس الطب الشرعي وعلم الأمراض بالعربية فقط وننتظر إلى أن توضع المؤلفات كاملة بالعربية ، ثم ننتقل إلى التدريس الكامل بها .

القافلة : ما الذي منع ، لغاية الآن ، من إيجاد هذه المؤلفات ؟

عمّار : لاتزال الكتب غير موجودة إلى الآن في فروع كثيرة . وأمهات الكتب لاتزال كذلك غير موجودة في هذه الفروع .

القافلة : بودنا أن نعلم شيئاً عن أمر تدريس الطب باللغة العربية في القرن التاسع عشر .

ـات العلميّة العربيّة

أعدها وأدارها : ابراهيم أحمد الشنطي - لهيئة التحرير

سليمان : الحديث عن الماضي يثير الآلام ، وربما يكون الحديث عن الحاضر أمتع وأفيد . أما في الماضي فقد أنشأ محمد علي الكبير ، والي مصر في الدولة العثمانية ، مدرسة للطب في أبي زعبل وأحضر لها أستاذا من فرنسا يسمى « كلوت » وانشأ هذه الكلية أو المدرسة واستقدم لها أساتذة من فرنسا ومن إيطاليا ومن المانيا سنة ١٨٢٧م ، وكان التدريس فيها باللغة العربية منذ اليوم الأول لنشأتها رغم أن الأساتذة الذين كانوا يدرّسون فيها لا يعرفون العربية . فقد كان هناك مترجمون يقومون بترجمة اللغة التي يتحدث بها الأستاذ ، وهي الفرنسية أو الألمانية ، إلى اللغة العربية . ثم تعلم هؤلاء الأساتذة العربية خلال سنة واحدة وصاروا يدرّسون بها ، واستمر الحال كذلك إلى أن احتل الانجليز مصر سنة ١٨٨٢ م ففرضوا اللغة الانجليزية . وفي عام ١٨٨٧ م قدم « كيتنج » ، وهو أول مدير لهذه المدرسة ، تقريرا يقترح فيه أن يكون التعليم في مدرسة الطب تعليما ذا لغتين . لم يجروْ أن يقول نعلم بالانجليزية وإنما قال إن الطلاب يجب أن يعرفوا بعض المصطلحات الانجليزية ، أو كما سماها الأوروبية ، حتى يكون تتبعهم للعلم الحديث سهلا . وصمم على أن يكون التعلم العلمي والسريري والمعملي باللغة العربية . وكانت هناك كتب كثيرة جدا باللغة العربية .. فقد أرسل كل أستاذ إلى فرنسا للتخصص في مادته ، ولما عاد ترجم أو ألف كتابا في تخصصه ، فصار هناك ثروة هائلة من الكتب تعد بالمئات ، وهي مكتوبة باللغة العربية الفصحى وما أجملها وما أبدعها ، كان فيها بعض السجع كعادة تلك الأيام ، وهي الآن موجودة بالقصر العيني ومهملة أشد الإهمال . فمثلا كتاب « الطب الشرعي » الذي أدرّس مادته في هذه الأيام يكاد يكون أحسن من كتابي الذي ألفته باللغة العربية أو الانجليزية لولا أنه قديم ومعلوماته قديمة شيئاً ما . وكان يسمى « الدستور المرعي في الطب الشرعي » وألفه الدكتور ابراهيم باشا حسن وكان طبيباً للخديوي .

أما إذا أردنا الحديث عن العصر الحديث فقد أصدر الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، وزير المعارف العمومية آنئذ ، قرارا وزاريا سنة ١٩٣٨ م يقضي بتدريس الطب باللغة العربية في كلية الطب . ولم يكن هناك كلية طب إلا واحدة ، وهي كلية طب القصر العيني . لكن الأساتذة آنئذ كتبوا يطلبون بعض الوقت حتى يعدوا ما يلزم من مصطلحات وكتب ومعامل وبحوث . ومنذ سنة ١٩٣٨ م للآن لم تعدّ مصطلحات ولا كتب ولا بحوث .

وفي سنة ١٩٥٦ م قدمتُ اقتراحا إلى مجلس كلية طب القصر العيني لتدريس الطب بالعربية فورا من العام التالي . ودرس الاقتراح في مجلس كلية الطب ووافقوا عليه بالإجماع إلا أنهم قالوا تدرّس تدريجيا ، فيُبدأ بالسنة التالية من الإعدادية ، ثم بالسنة الثانية إلى آخره على أن يعد الأساتذة الكتب اللازمة للطلاب في الأعوام السابقة لبدء التدريس ، وكانت السنة الإعدادية تابعة حينئذ لكلية العلوم فأعدت كلية العلوم الكتب للطلاب باللغة العربية ودرّست بالعربية ، ثم أنشأنا عشرات اللجان لترجمة كتب السنة الأولى في التشريح والفسيولوجيا والكيمياء الحيوية وغيرها . وترجمت أمهات هذه الكتب وبعضها طبع ، مثل كتاب علم الأنسجة ، وبعضها مازال مخطوطا وملقى في السراديب . وفي جامعة القاهرة عشرات بل المئات



عمـــار : لانزال ننتظر وضع كتب كاملة باللغة العربية ثم ننتقل إلى التدريس بها .

من الكتب مطبوعة باللغة العربية مازالت مهملة وغير معتمدة .
لذلك أقول بأن التدريس هو البداية . أنا آسف لأن أخالف أستاذي ومعلمي الدكتور أحمد عمار فأقول إن البداية هي التدريس وليست البداية هي المصطلحات ولا هي الكتب ولا هي المراجع . لمن يؤلف المؤلفون ولمن يترجم المترجمون إذا لم يكن الطلاب يتعلمون باللغة العربية ؟ ثم ان كتاب الطب يكاد يكون اليوم لا لزوم له لسرعة الأبحاث الطبية المتقدمة ، فإلى أن يطبع الكتاب يكون قد تأخر عن عصره .. الدراسة الطبية الآن تكاد تكون مقصورة على الدراسات التي يتلقاها الطلاب من الأساتذة بالإضافة إلى المجلات العلمية . الكتب القديمة التي كنا ولانزال ندرّس بها هي التي في التشريح ، وهو العلم الوحيد الذي لا يتغير كثيرا ، لكن بقية العلوم تحتاج إلى متابعة سريعة جداً . فاذا انتظرنا إلى أن تتم الترجمة والتحرير والمصطلحات فسننتظر طويلا ، وطويلا جدا .

القافلة : ما الذي يمنع من تجديد تلك الكتب واستعمالها ، ثم ما هي الحال بالنسبة لكليات العلوم والرياضيات ؟

مختار : ان الحال في الكليات العلمية لا يرضي إنسانا ، ولنعد بالتاريخ إلى بضع سنوات مضت . ففي العشرينات من هذا القرن بدأت كليات العلوم تظهر في هذا البلد . أنشئت لأول مرة كلية للعلوم في عام ١٩٢٥ م ولم يكن هناك مقومات للتدريس بالعربية ، فكان من المعقول أن يعين فيها أساتذة أجانب للتدريس في جميع الفروع ، في الفيزيقا والكيمياء والرياضيات والبيولوجيا ، وبالتالي كانت الكتب المستعملة باللغة الانجليزية ولم يكن بد من هذا الإتجاه . ودرّسنا وتخرجنا باللغة نفسها والمراجع نفسها . واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن فطنا إلى أن هذا الوضع يجب ألا يستمر بل لا يمكن أن يستمر . فالطالب لا يمكنه أن يستوعب الدرس إلا إذا خاطبه المدرّس بلغته . وحتى المدرّس نفسه إذا تكلم بلغته الأصلية ، أي العربية ، سيكون أقدر على التعبير والشرح للطالب . فالتدريس بالعربية واجب أساسي ، بصرف النظر عن الناحية الوطنية والقومية ، هو واجب أساسي من الناحية التعليمية حيث يستطيع الطالب أن يستوعب أكثر ويكون لدى الأستاذ مقدرة أكثر للشرح . فبدأنا نفكر في الأمر جديا . ماذا نعمل لكي ندرّس باللغة العربية ؟

بدأنا في الواقع ، حوالي عام ١٩٥٠ ، حيث نص قانون الجامعة على أن يكون التدريس في كلية العلوم بالعربية ، ويجوز لمجلس الجامعة أن يرخص باستعمال لغة أجنبية . فبدأنا ندرّس في السنة الأولى علوم ، والإعدادية طب وصيدلة وأسنان وعلوم بحتة باللغة العربية . وكان الموضوع سهلا إلى حد ما حيث كانت المصطلحات معتادة وكانت كلية واحدة وكان عدد الطلاب ، وكذلك الأساتذة ، قليلا فسار الأمر سهلا . ثم حاولنا أن ننقل التدريس بالعربية إلى السنة الثانية . وبعد عام ، واثنين ، وثلاثة لم نتمكن وفشلنا .

لقد كان سبب الفشل هو أن المناهج في السنوات المتقدمة ، الثانية والثالثة والرابعة ، تطورت بسرعة كبيرة جداً . والمصطلحات أخذت تنهمر على المجال العلمي ، وخصوصا المجال الفيزيقي الذي أتحدث عنه . ثم دخلنا في عصر الذرة والإلكترون والحاسبات ... إلخ ، فكانت المصطلحات تنهمر بشكل كبير جداً لدرجة أن الأستاذ الذي يدرّس باللغة العربية كان عليه أن يجتهد بنفسه لإيجاد المصطلحات المناسبة . ومن هنا نشأت البلبلة ، فكل مدرّس كان يجتهد في المصطلح . وكان



سليمان : لمن يؤلف المؤلفون ، ولمن يترجم المترجمون إذا كان الطلاب لا يدرسون بالعربية ؟



الغامدي : لا أرى هناك مسوغا لاستمرار التدريس باللغة الأجنبية .

المصطلح الواحد يترجم إلى ثلاثة أو أربعة مصطلحات حسب كل مدرّس . فصار الأستاذ يذكر مصطلحه بالعربية ثم يسميه باللغة الأجنبية حتى يُفهم . وبالتدريج نُسي المصطلح العربي ، لأن الطلبة كانوا يرجعون إلى كتب انجليزية ، وبدأ الطلبة ، بالتدريج ، باستعمال المصطلحات الانجليزية . لكننا بقينا نفرض ضرورة التدريس بالعربية فوقعنا في إشكالات أكثر .

الأول منها : إننا وجدنا أنه لا يمكن للأستاذ أن يدرّس بالعربية دون ذكر المصطلحات بالأجنبية . والمصطلحات العربية غير موجودة وإن وجدت فهي مبلبلة وغير سليمة إلى حد ما . فصار يخلط في التدريس باللغة العربية ومعها مصطلحات باللغة الأجنبية باستمرار . فنشأ عن هذا لغة عجيبة . لغة عبارة عن لغة يتكلمها الأستاذ : لغة عربية ومصطلحات أجنبية في قالب واحد . ثم انتقلنا من المصطلحات إلى الألفاظ العادية ، فنشأ عن هذا بلبلة ولغة لا أقول انها لغة إطلاقا ، لأنها خليط ركيك من العربية والأجنبية ، لا يقبله الإنسان . لدرجة أنه لو دخل أستاذ عربي إلى هذا الفصل لتعذر عليه تتبع الكلام ، وإذا دخل أستاذ أجنبي تعذر عليه أيضاً تتبع الكلام لأنه خليط من العربية والانجليزية . فوجدنا أنفسنا في مأزق ، لأنه لم تكن لدينا مقومات التدريس باللغة العربية السليمة كاملة ومتينة .

وعدنا إلى مجمع اللغة والهيئات المهتمة بالتعريب ، وقلنا أنه يجب توحيد المصطلحات وتأليف الكتب بطريقة واحدة .. الخ . وكان تشجيع تأليف الكتب ضعيفا لأن العائد كان ضعيفا جداً ، فأعداد الطلبة كان قليلا وخاصة في السنتين الثالثة والرابعة . وللأسف حتى السنوات الأولى التي درّسنا فيها بالعربية لم نتمكن من نقل الدراسة منها للسنوات التالية ، حتى هذا توقف أخيرا ، وأعيدت الدراسة إلى اللغة الانجليزية كما يقولون حرصا على مصلحة الطلاب حتى يتابعوا النهج العلمي العالمي والتقدم العلمي . وهذا هو الوضع الحالي وهو يحتاج إلى عمل جدي كبير في كل المقومات ، وليس فقط في النزعة العربية . ونأمل أن يأتي اليوم الذي ندرّس فيه جميعنا باللغة العربية . ومع هذا يلزم أن نستكمل المقومات التي تجعل هذه الدراسة دراسة مجدية سليمة تفي بأغراض التعليم العالي أولاً ، وبالثقافة العالية وبالتأليف وبالترجمة ، وأولى هذه المقومات هي المصطلحات ، والحمد لله لقد أخذت مجامع اللغة العربية تهتم بهذا الموضوع إهتماما جديا .

الغامدي : هناك من يدعّي بأن السبب في استخدام اللغة الأجنبية ، هي تمكين الطلاب من مواكبة التعليم إذا ما أرادوا الإستمرار فيه . ونحن نعرف إمكانية اللغة العربية وأيضاً نعرف سرعة الإنتاج العلمي الآن في هذه المجالات ، والعلم كما نعلمه ليس ملكا لصنف من البشر دون الصنف الآخر . وإلا لما كانت اللغة العبرية تدرّس في جميع مراحل التعليم في اسرائيل . واللغة العبرية ميّتة ، ميّتة ليست ميّتة . في تصوري ان هناك أمرا ما جعل اللغة العبرية تستوعب العلوم ويدرّس بها في الجامعات والمعاهد العليا . هذا الأمر نحن عاجزون عن الوصول إليه فيما يتعلق باللغة العربية .

السؤال القائم : أعجزت اللغة العربية ، أو أعجز الرجال عن إتخاذ قرار يقضي بأن يُبدأ بالتدريس في الجامعات وألا تتخذ عملية التحويل والترجمة واللجان وما إلى ذلك ذريعة ، فالقرار هو أهم عمل في التنفيذ . فأعود وأقول إن هناك شيئاً غائباً عن الأذهان ، ألا وهو كيفية اتخاذ القرار بتدريس اللغة العربية في الجامعات ، هذا جانب . أما الجانب الآخر الذي يمكن أن أطرحه فهو الجانب الحضاري . نحن نعلم أن العلوم الإنسانية هي سابقة للعلوم العلمية والذين يهتمون بالعلوم الإنسانية والاجتماعية من الأدبية والتاريخية والنفسية وغيرها ، يعلمون هذا والكل على علم بتاريخ اللغة العربية وتطورها وانسجامها مع متطلبات الحضارة . هل الاستمرارية في تدريس المناهج العلمية باللغة الأجنبية في جامعاتنا من الناحية الحضارية سليم ؟ وما هي خطورة هذا الموقف على لغتنا وأمتنا وأجيالنا القادمة من الناحية الحضارية ؟ !

هارون : أعتقد أنه لا توجد مشكلة في الأقسام أو الدراسات الأدبية أو الإنسانية من ناحية الاستعمال الكبير للغة الأجنبية ، ويمكن أن يكون هناك شيء من هذا في بعض أقسام التاريخ أو الآثار لأن معظم المراجع فيها أجنبية . وعلى كل حال فقد أمكن للدكتور سليم حسن أن ينشر موسوعة في الآثار باللغة العربية الفصحى . أما من ناحية علم النفس والفلسفة وما أشبه ذلك فهذه ليست مشكلة في الجامعات لأنها منذ أن أنشئت وهي تدرّس باللغة العربية . وقد يحال الطالب إلى بعض المراجع باللغة الأجنبية ، والمراجع الأجنبية ، في هذه الحالة ، تكون شريكة للمراجع العربية حيث يوجد منها مراجع متينة ألفت في العلوم الإنسانية ، وهي من الكثرة بمكان .

ونرجع إلى ناحية الداء الكامن في جامعاتنا ، وهذا يكمن في هيئة التدريس التي توفَد للخارج فتُستَلب قوميتها وتتبناها الجهات الأجنبية تبنيا شديدا لدرجة انني لاحظت في إحدى الجامعات العربية بأنه لا يكتفى بتعليم الطب والهندسة باللغة الأجنبية بل يعطى الطالب دروس تقوية باللغة الانجليزية لكي يستطيع تتبع الدراسة باللغة الأجنبية ، وهذا أمر معيب جدا ، فبدل أن نعزز مركز اللغة العربية نعزز مركز اللغات الأجنبية . إنه لأمر عجيب حقاً حتى المبعوثون الذين يبعثون إلى الخارج أرى أن يكلفوا فور عودتهم إلى بلادهم ، بتأليف كتاب أو عدة كتب في المادة التي درسوها باللغة العربية ، وهذا يجب أن يكون أمرا حتميا . وبذلك نستفيد فائدتين : الأولى أننا اكتسبنا مؤلَّفا جديدا والثانية أننا اكتسبنا روحاً قومية جديدة ، هذا هو الداء ، وهذا هو العلاج فيما أعتقد .

ضيف : الواقع أن اللغة العربية أثبتت من قديم أنها لغة أدب ولغة علم وكانت كذلك في العصر العباسي وبعده .. فمن قديم حملت اللغة العربية لواء العلم وظهر منذ أول الأمر أنها تستطيع أن تحمله بمنتهى السهولة لكثرة الإشتقاقات فيها وكثرة التصريفات . ولا نكاد نصل إلى نهاية القرن الثاني الهجري حتى يظهر لنا من خلال الترجمات الكثيرة « جابر بن حيان » في الكيمياء ، « الخوارزمي » في الرياضيات ، « الكندي » الفيلسوف وغيرهم . فالعربية لاشك أنها تستطيع أن تنهض بالعلم الحديث كما نهضت به قديما وأدت دوراً كبيراً ، وقد ظلت الجامعات الغربية تدرّس العلم العربي إلى وقت قريب . وما نأمله الآن هو أن نصل إلى ما وصل إليه أسلافنا ، فتكون لنا لغة علمية إلى جانب اللغة الأجنبية ، وبذلك تتم الوحدة الفكرية في بلادنا العربية . ونرجو أن تأخذ الأمة العربية دورها اللائق إذ لدينا من صفوة المفكرين والأدباء والعلماء من يستطيعون أن يحققوا الأمل الكبير في تعريب العلم وجعل لغته في الجامعات هي اللغة العربية ، وتصبح المصطلحات العلمية موحدة في جميع البلاد العربية ، بحيث تكون الجامعات أشبه بمؤسسة عربية واحدة يتفاهم أبناؤها بلغة علمية واحدة كما كانوا يتفاهمون في السابق بلغة مشتركة واحدة . وهذا أمل يراود جميع علمائنا المعاصرين وأنا لا أرتاب مطلقا بأننا سنصل بعد سنوات إلى هذا

التعريب المأمول ، وتصبح لغتنا علمية كما هي أدبية ويكون لها علماؤها الذين يذكرون في المراجع العلمية وهم كثيرون الآن .

الغامدي : تحدث الأستاذ شوقي ضيف عن قدرة اللغة العربية من الناحية الحضارية ومدى إسهامها في الحضارة البشرية ، ونحن نوجه السؤال هنا إلى الدكتور سليمان عن المشكلة من الناحية العلمية ومدى قدرة اللغة العربية على الخروج منها ، فهل يا ترى أن اللغة العربية مثلما كانت يوما ما لغة علمية يمكن أن تصبح اليوم لغة علمية ؟

سليمان : ان المشكلة أو الدواء بيّن ، ولقد تحدثت عن ذلك في مؤتمرات عامة في بغداد وفي عمّان وفي دمشق وفي القاهرة مرات كثيرة وكتبت في ذلك كثيرا . وأنا أخالف أخوتي جميعا بضرورة توحيد المصطلحات العلمية أولا . فالمصطلحات العلمية في العالم أنشأها الأستاذ الذي وضعها . وكم من مصطلح أجنبي وضع بثلاث أو خمس صور في وقت واحد ، ومازالت المصطلحات الانجليزية تختلف عن المصطلحات الفرنسية اختلافا شديدا لدرجة قد تتبادل المعاني . بمعنى أن يوضع مصطلح بنفس اللفظ بالفرنسية يؤدي معنى مخالفا جدا لنفس اللفظ بالانجليزية . ولم يكن في ذلك شذوذ لأن الغرض من المصطلح هو الإفهام فقط . ولقد استعمل الأقدمون المصطلحات الأجنبية نفسها في كثير من الأحيان ولم يجدوا في ذلك حرجا . ابن سيناء استعمل كلمة « أرثماطيقا » و « مثماطيقا » وكتبها بالحروف العربية وفهمها الناس إلى أن ظهر غيرها . وهناك حيوانات لها باللغة الأجنبية خمسة اسماء مختلفة ولم يجد أهل تلك اللغة في ذلك حرجا يمنعهم من التعلم وإنما وحدوها بعد ذلك . لذا فإن وضع المصطلحات في رأيي لا يعوق . هذه تفصيلات لتعميم معروف متفق عليه .

لنضرب مثلا بالجامعة السورية في دمشق ، لقد نشأت لتعلم بالعربية منذ أن نشأت . حقيقة كان الطب فيها متأخرا جدا ، أنا لا أنكر ذلك ، ولم يكن سبب التأخر هو اللغة العربية ، وإنما كان السبب — في رأيي — عدم وجود مؤتمرات ومعدات وما شابه ذلك . ولقد درّست في هذه الجامعة سنة ١٩٥٩ م و ١٩٦٠ ودرّست بالعربية ووجدت طلابا نابهين عندهم معلومات كثيرة . ولكن مع الأسف الشديد لم تكن هناك إمكانيات ، لكنها اليوم متوفرة . والآن أؤكد أن الطالب السوري المتخرج من كلية الطب في المستوى الأرفع من أي طالب عربي يتخرج من أي كلية طب عربية تدرّس بالانجليزية . ولي على ذلك دليل مادي حضرته بنفسي في امتحان درجة ECFMG* الأمريكي ، الذي يجرى في بيروت مرتين كل عام للطلاب الذين يريدون الهجرة إلى أمريكا ، وهو باللغة الانجليزية . وقد شهدت امتحانا ، ذات سنة ، وتقدم إليه ٢٠٠ من الطلاب المصريين و ٢٠٠ من الطلاب السوريين . الطلاب المصريون كانوا يتعلمون باللغة الانجليزية والسوريون يتعلمون بالعربية ، فكان المنتظر بالتأكيد أن يكون نجاح الطلاب المصريين أعلى في هذا الامتحان الذي يعقد باللغة الانجليزية ، ونصفه ، في اللغة الانجليزية ، وليس في الطب . وكانت مدة الامتحان أكثر من ست ساعات . وقد نجح فيه الطلاب السوريين بنسبة أعلى بكثير من الطلاب المصريين .

هذا دليل حي واضح على أن التعليم يمكن أن يتم بأية لغة في العالم . ولقد شاهدت في مدينة طوركو ، في فنلندا ، وعلى جانبي طريق واحد في المدينة ذاتها ، على اليمين كلية للطب تدرس باللغة السويدية ، وعلى اليسار كلية للطب تدرّس باللغة الفنلندية . فعجبت وقلت لمن كان معي من أهل تلك البلاد : إن مدينتكم هذه لا يزيد عدد سكانها على مدينة متوسطة في مصر فكيف تجعلون فيها كليتين للطب ، كل منهما تدرّس بلغة مختلفة ، إن هذا لأسراف ! فقالوا : « أبدا لا ترَف في هذا ولا إسراف ، بل هو ما يجب أن يكون . فنصف سكان المدينة يتكلم السويدية ونصفهم يتكلم الفنلندية ، ولابد أن نعلّم الطالب باللغة التي يفهم بها » .

إن الطالب الذي نعلمه بلغة أجنبية علمه مصطنع لا يثبت فيه ، ولا يوصل العلم في المجتمع الذي يعيش فيه . بدليل أننا ندرّس الطب بالانجليزية في مصر منذ أكثر من مائة عام ، ومع هذا لم نجد عندنا من البحوث المصرية في الطب ما يعادل واحدا في المائة من البحوث التي تصدر من بلد صغير ، كاستراليا مثلا ، لغتها الأصلية هي الانجليزية . فاستراليا تدرّس الطب بالانجليزية ، ونحن نعلمه بالانجليزية قبلها كذلك ، وعدد الأطباء في مصر أكثر مما في استراليا . وفي مصر أطباء أشهر مما في استراليا . ولكن نجد أن عدد البحوث الطبية — التي تصدر في استراليا — يساوي عشرة أضعاف ما يصدر في مصر . فلماذا لا ينشر الأطباء المصريون بحوثا أصيلة ، وأعني البحوث التي يمكن أن يتحدث عنها العالم ؟ ! السبب يعود إلى أن الأطباء في مصر لم يدرسوا الطب بلغتهم العربية وإنما درسوه بلغة أجنبية عنهم ، ولذا فهم لا يتصورونها التصور الواضح الذي يمكن من خلاله ، أن يكتبوا بها .

في تلك البلاد ، أي في استراليا ، ينشر العلماء والأطباء بحوثا متنوعة ، ولكن نادرا ما يحدث مثل هذا عندنا . وعليه فليس من مهمة المجامع أن تضع المصطلحات . إنها من صنع الأستاذ الذي يدرّس المادة ، فهو الذي يخترعها والمجمع يصقلها بعد ذلك . إن توحيد المصطلحات لا لزوم له أبدا ، في رأيي هذا ترف . وإذا انتظرنا إلى أن نضع المصطلحات ونوحدها ثم نؤلف وننشر فإن العلم يكون قد تقدم عشر سنين أخرى أو أكثر ولن نصل إليه أبدا .. هذه حلقة مفرغة أشبه ما تكون بالجدل البيزنطي .

ضيف : أرى أنه لابد أن تتعاون المجامع في البلدان العربية لأن هذا ييسر العمل أمام المترجمين إذا استطعنا مدهم بمصطلحات وفيرة ، وهو ما يحاوله مجمع اللغة في القاهرة . فنحن نجتمع أسبوعيا من أجل مراجعة هذه المصطلحات وتظل اللجان تعمل يوميا . ولذا لابد من التعاون المثمر بين المدرّس والمؤلف والمجمع اللغوي . وأتمنى أن تشكل هيئة تابعة لاتحاد المجامع اللغوية تكون مهمتها وضع الخطط التي بها يتم هذا التعاون بين الجميع .

القافلة : ألا ترون ضرورة حث مدرسي العلوم على محاولة التأليف كل حسب فنه وتشجيعهم على ذلك . إنهم أقدر على وضع المصطلح العلمي المناسب ، فهم الذين يجرون التجارب في المختبرات ويكررونها مرات ومرات . ثم يأتي دور اللغوي بعد ذلك فينقح المؤلف ويختار من بين المصطلحات الأنسب لغويا للمسمى الواحد ! ؟

هارون : لاشك أن شعور المدرّس بمعاني المصطلحات الأجنبية التي يدرّسها أقوى وأصوب من شعور العاملين في المجامع . وهو الذي يستطيع أن يقيم لها الترجمة التي توازي المصطلح الأجنبي .

مختار : في الواقع هناك فرق بين الطب والعلوم . فالطب قديما ، هنا في مصر وفي سائر البلاد العربية ، كان يدرّس بلغة البلاد الأصلية ، أما

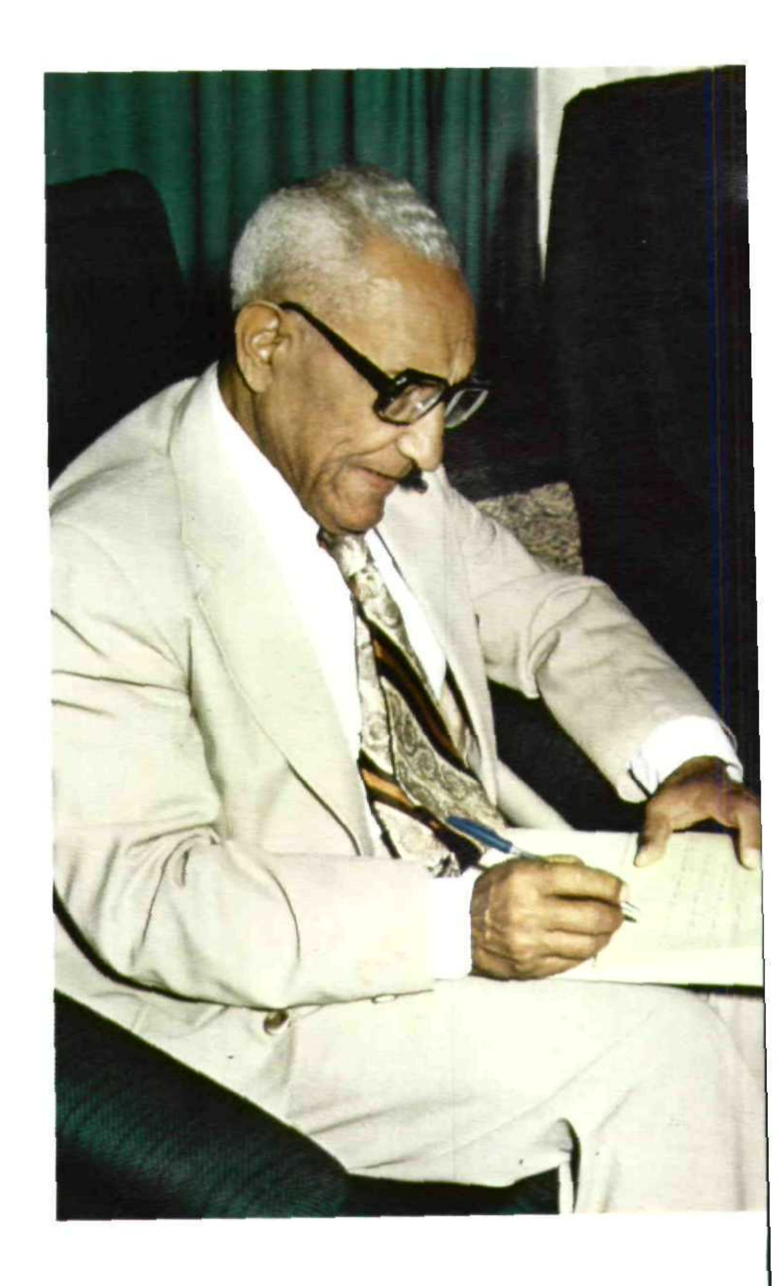
*Educational Council for Foreign Medical Graduates

العلوم فتختلف اختلافا كليا . فلقد تطورت العلوم في الآونة الأخيرة كما لو أنها تطورت في عصور . فمن عصر « الترانزستور » إلى عصر الحاسبات الإلكترونية وعصر الفضاء ... إلخ . ولقد أضاف هذا عبئاً ثقيلا على كليات العلوم ، وانهمرت المصطلحات عليها بكثرة . فصعب عليها ملاحقة العلم الحديث في تطوره وبالتالي إمكان تعريب هذا العلم ووضع المصطلحات له . فاضطرت الكليات إلى استخدام المصطلحات الموجودة في ذلك الوقت حتى يتسنى لها مواكبة مسيرة العلم الحديث . ولقد أنشئت لجان اتجهت إلى مجمع اللغة العربية في محاولة لإيجاد مصطلحات لائقة ، فرحب المجمع بها ، وعرضت هذه اللجان ، وهي من علماء مختصين ، المصطلحات على المجمع فصُقلت وهذّبت وأوصى باستعمالها . ولذا يجب أن يسير التدريس مع إيجاد المصطلحات جنباً إلى جنب . ولا يمكن أن نعتمد على التدريس فقط دون النظر إلى تقنين المصطلحات وتدويلها ونشرها إلى آخره ، كما لا يمكن أن نضع المصطلحات وننتظر حتى نستكملها ، فهذه لن تستكمل إلا بعد زمن طويل . وهناك مصطلحات أجنبية يعاد تنقيحها وتصحيحها . ونحن الآن نسير في الاتجاهين معاً ، نكتب باللغة العربية بقدر الإمكان ونؤلف بها كذلك ، ونترجم كتبا عديدة جداً إلى اللغة العربية وفي الوقت نفسه نضع المصطلحات ونقننها . غير أن الإمكانات الموجودة حالياً ، فيها قصور ونود استكمال هذا القصور .

هارون : الواقع الآن أنه يوجد لدينا مشكلتان : مشكلة مصطلح ، ومشكلة تدريس . قد نتسامح بعض التسامح في المصطلحات ونكل أمرها إلى الأستاذ . لكن لماذا لا يطلب من الأساتذة بكليات العلوم أن يكون التدريس والتأليف فيها باللغة العربية مع استخدام المصطلحات الأجنبية ، وهذا أضعف الإيمان ! أما كون المصطلحات باللغة الأجنبية والتدريس باللغة الأجنبية فهذا أمر مشوش .

سليمان : لا يوجد الآن تدريس باللغة الانجليزية في العلوم . التدريس اليوم باللغة العامية ، بلغة الشارع ، والمصطلحات باللغة الانجليزية . لقد مضى عليّ عشرون سنة وأنا أجري إختبارات بكليات الطب ، ولا أجرؤ أن أمتحن طالباً واحداً باللغة الانجليزية . لأني لو وجهت إليه سؤالا بها فهو لا يفهمه ، فنحن الآن في فوضى لا يمكن أن تُفهم ، لأن التدريس الآن باللغة المحكية . والصعوبة الآن هي أن الأساتذة لا يريدون أن يدرسوا باللغة العربية لأن ذلك يقتضي منهم تعليماً جديداً وهم لا يعرفونه . وأعود فأضرب مثلا بسوريا في مسألة المصطلحات . ففي اتحاد الأطباء العرب ألفّنا لجنة عام ١٩٧١ م لوضع معجم موحد للمصطلحات الطبية العربية ونشرنا معجماً موحداً بذلك في سنة ١٩٧٣ م فالتزمت به الجامعة السورية وغيرّت مصطلحاتها ولم تجد في ذلك حرجا . ثم عاد مجلس وزراء الصحة العرب فألف لجنة أخرى لإعادة النظر في المعجم الموحد ونحن نتابعه الآن وسوف نتم عمله بإذن الله في بضعة شهور ، والجامعة السورية تلتزم بتغيير المصطلحات التي غيرناها ، وتستخدمها في العلوم وفي الطب والزراعة والهندسة ... إلخ .

أنا لا أقول أنني متحمس للغة العربية قومياً ولا دينياً ، مع ان الواجب يقضي أن أكون كذلك ، ولكني متحمس للتدريس بها علميا ، من أجل العلم نفسه . فالطالب لا يفهم العلم إلا إذا تعلمه باللغة التي تعلم بها التحدث أول ما تعلم . والأستاذ لن يشرح العلم شرحا وافيا إلا إذا شرحه باللغة التي يتقنها .



مختار : التدريس بالعربية واجب أساسي من الناحية التعليمية حيث يستطيع الطالب أن يستوعب أكثر ويكون لدى الأستاذ مقدرة أكثر للشرح .

ضيف : لاشك أنه يهمنا جداً أن تكون اللغة العربية لغة أدب وعلم . ونأمل أن يحدث هذا الاتحاد . ولكي تكون هناك وحدة فكرية في الأمة يجب أن تكون اللغة الأدبية وبجانبها اللغة العلمية حتى لا يكون هناك تمزق نفسي في المجتمع . ويجب أن تتخذ الوسائل والمقومات عن طريق هيئة علمية أرى أن تتبع إتحاد المجامع العربية وأن توضع الخطط والمناهج لتحقيق هذه الرغبة المكثفة في ضمير الصفوة من أبناء هذه الأمة .

القافلة : هل تطالب مجامع اللغة العربية في اجتماعاتها أن يكون التدريس في الكليات العلمية على اختلافها باللغة العربية ؟

هارون : كثيرا ما دعونا ونادينا بذلك لكن المهم أن يتعاون أولو الأمر معنا من أجل الالتزام باللغة العربية وتنمية التعليم بها والحرص على نشرها .

القافلة : لدينا سؤال عن مستوى التعليم العلمي . هل هو في جامعاتنا العربية بنفس المستوى في البلدان الغربية . كأمريكا مثلا ؟ !

عمّار : مستوانا في الطب لا يقل إطلاقا عن مستوى الجامعات الانجليزية بل لعله أسمى منها . فمستوى الطالب الطبيب الذي يتخرج من كلية الطب في مصر أعلى من مستوى زميله في أي كلية من كليات بريطانيا .

القافلة : هل هذا يشمل المستوى النظري والعلمي . حيث أنه يؤخذ على طلابنا بأنهم من الناحية العملية أقل مستوى ؟ !

عمّار : السبب في ذلك أن الكليات عندنا تستوعب أعدادا كبيرة جدا الآن بدليل أن نقيب الأطباء الحالي يوصي بأن تقبل كلية الطب ثلث العدد الذي تقبله حالياً . عندنا في مصر تسع كليات للطب منها كلية طب القصر العيني وفيها ١٥٠٠ طالب في البكالوريوس ، وفي عين شمس ١٥٠٠ أيضاً ، فالأعداد كبيرة جدا . إنما مستوى الطالب عندنا لا يقل عن زميله البريطاني إطلاقا .

مختار : ربما هناك من يستفسر : لماذا لا تبدأ كليات العلوم بالتدريس بالعربية من الآن . والإجابة عن ذلك هي أننا جاهدون ونعمل أقصى ما في جهدنا كي نصل إلى ذلك عن طريق صحيح مستقيم مستقر . وقد بدأنا التدريس بالعربية في زمن مضى ولكننا لم نكن مستعدين أو مهيئين له ، وكانت النزعة قومية فقط ، فاتخذنا قرارا سريعا ، ولم تكن هناك المقومات السليمة الصحيحة ، ونحن الآن ، بحمد الله ، نسير في الطريق الصحيح . وقد يكون الطريق صعبا إنما هو الطريق الوحيد والسليم .

هارون : إن من يريد أن يتعلم السباحة يجب أن ينزل إلى الماء ، وهو أمر لابد منه .

وبعد

لاشك أن القارىء الذي اطلع على الندوتين السابقتين إلى جانب هذه الندوة ، قد لمس أن المشاركين أجمعوا ، دون استثناء ، على قدرة اللغة



هارون : من يريد تعلم السباحة يجب أن ينزل إلى الماء .

العربية وصلاحيتها لتدريس العلوم على اختلافها وكذلك على إمكان التأليف العلمي بها . ولقد جرى كذلك حديث حول قدرة المدرسين الحاليين على استخدام اللغة العربية في تدريس العلوم وفي التأليف العلمي ، وقد شكك بعض المشاركين في قدرة الأساتذة العرب على التأليف العلمي وكتابة الأبحاث العلمية باللغة الأجنبية التي تعلموا بها سابقاً ويدرّسون بها حالياً ، وهذا الشك ، طبعاً ، لا يعني الإطلاق ، فلابد أن يكون هناك من يستطيع التدريس أو التأليف بالعربية أو الأجنبية وربما بهما معاً .

وإن كان بعض المشاركين قد رأى ضرورة التريث في قضية التعريب حتى يتم توفير الكتب والمصطلحات والمدرسين ، فقد رأى آخرون ضرورة الإسراع فيها ، فالزمن يمر سريعا والعلوم تترى ، والذي يريد التقدم لابد أن ينظر إلى الأمام ، ولكن لا يفوته أن يتلفت حواليه ليلم بما يجري . وكما ينظر المرء إلى الأفق البعيد أمامه وهو يسير في الفلاة ، كذلك ينظر إلى مواقع قدميه حتى لا يتعثر فيكبو ، وربما يتوقف أو يرتد ، والارتداد أشق على النفس من التردد ، وفيه خشية من عدم القدرة على النهوض ثانية .

وفي معرض الحديث والمداولة ذُكرت جامعة دمشق وتجربتها في التعريب ، وقد أشاد بذلك من أشاد ، وكانت الإشادة أكثر من المآخذ ، وذكر البعض أن أمر التعريب فيها ماض في طريقه ، يسير الهوينا تارة ويسرع أخرى ، حسب القدرات البشرية والإمكانات المادية . ولاشك أنها تجربة رائدة تستحق الدراسة الواعية المتأنية والاقتداء بها ، فقد مضى عليها عدة سنوات وهي تؤتي ثمارها طيبة ، في بيئتها على الأقل .

وبين من رأوا بضرورة الإسراع طالب بإيجاد تشريع أو قانون تلتزم به الجامعات ، فلا يجوز أن تظل القضية حائرة بين أساتذة العلوم في الجامعات ومجامع اللغة العربية : نعرب المصطلحات أولا أو ندرّس بالعربية ، نترجم المراجع أولا أو نؤلفها ، نوفر المواد العلمية أولا أو نعرّب الهيئة التدريسية ، فهذه الأمور يجب أن لا تقف حجر عثرة في طريق التعريب . فالمصطلحات والكتب والمراجع يضعها ويؤلفها الأساتذة أولا ثم المترجمون ، وفي البلاد العربية من هؤلاء العدد الكافي أو إن صحت العبارة عددهم غير قليل . وسيتنامى هذا العدد تدريجيا بتعريب الدراسة ويزداد الإقبال على التعليم العلمي الجامعي وبالتالي ستكون نسبة المتفوقين ، أو ربما النابغين ، أكثر وأرفع .

بقيت هناك نقطة أمام طلاب التخصص لما بعد المرحلة الجامعية إذا ما أرادوا القيام بذلك خارج البلاد العربية . وهؤلاء غالبا ما يكونون من المتفوقين جداً أو الممتازين ، ولذا لا نعتقد أن اللغة ستكون عائقا أمامهم إذا ما كانوا يدرسونها ، كمادة مستقلة ، طوال دراستهم الجامعية . إن دراسة مكثفة ، تستغرق بعض الوقت ، للغة البلاد التي سوف يتخصصون فيها ستحل لهم المشكلة .

وعلى أية حال هناك أفكار وآراء كثيرة في قضية تعريب الدراسة ، بعضها واضح وبعضها يحتاج لإيضاح ، وبعضها لابد له ممن يتبناه ويدعمه . وتجربة جامعة دمشق ، وهي تجربة رائدة ، لابد من دراستها عن كثب والاستفادة منها . وسنعرض إن شاء الله ، في ندوات لاحقة ، ما نجد وما يستجدّ من آراء وأفكار حول هذه القضية الحيوية ، فهي هامة ومهمة في وقت معاً ، وتستحق كل جهد يبذل من أجل تحقيقها التحقيق الأمثل ، وهذا الأمر يعوّل فيه على الصفوة من رجال هذه الأمة ونرجو أن لا تأتي كنزوة عابرة سرعان ما تخبو وتتلاشى .

●

المشاركون في الندوة - في سطور

الدكتور أحمد عمّار :

- شغل منصب عميد لكلية طب جامعة عين شمس من سنة ١٩٥٨ إلى سنة ١٩٦٥ .
- عمل أستاذا للتوليد وأمراض النساء في جامعة القاهرة وجامعة عين شمس .
- عضو في مجمع اللغة العربية منذ عام ١٩٥١ .
- يشغل منصب نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ سنة ١٩٧٦ إلى الآن .

الأستاذ عبد السلام محمد هارون :

- من مواليد الاسكندرية سنة ١٩٠٩ م .
- تخرج من دار العلوم سنة ١٩٣٢ واشتغل بالتدريس في المدارس الابتدائية إلى سنة ١٩٤٢ .
- اختير عضوا بلجنة إحياء تراث أبي العلاء المعري بإشراف الأستاذ الدكتور طه حسين وقام مع زملائه بإخراج وتحقيق ستة مجلدات من آثار أبي العلاء .
- عين بعد ذلك في وظيفة مدرس بجامعة الاسكندرية ثم أستاذا مساعدا بكلية دار العلوم ثم استاذا ورئيسا لقسم الدراسات النحوية إلى سنة ١٩٦٦ .
- وقع الاختيار عليه مع جماعة من الأساتذة لإنشاء جامعة الكويت .
- في أثناء عمله بالكويت اختير عضوا بمجمع اللغة العربية وكان ذلك سنة ١٩٦٩ .
- قام بتحقيق وتأليف أعمال علمية بلغ عددها ١١٤ كتابا ورسالة .
- حصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي لعام ١٤٠١ هـ .

الدكتور شوقي ضيف :

- أستاذ الأدب العربي غير المتفرغ بآداب جامعة القاهرة .
- عضو مجمع اللغة العربية .
- له مؤلفات كثيرة تتناول الأدب العربي في جميع عصوره ودراسات لبعض الشعراء مثل شوقي والبارودي .
- شارك في تحقيق طائفة من كتب التراث .
- له مقالات كثيرة في المجلات الأدبية .

الدكتور محمد أحمد سليمان

- أستاذ الطب الشرعي بالجامعة الأردنية عمان / الأردن .
- أستاذ في جامعات القاهرة والأزهر وبغداد ودمشق والخرطوم .
- عضو مجمع اللغة العربية من عام ١٩٦١ .
- عضو مؤازر بمجمع اللغة العربية في الأردن وسورية والعراق .
- مدير جامعة الأزهر بالنيابة من عام ١٩٦٢ — ١٩٦٥ .
- مدير جامعة القاهرة بالنيابة من عام ١٩٦٥ — ١٩٦٨ .

الدكتور محمود مختار عبد الرحيم :

- عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- عميد كلية العلوم الأسبق بجامعة القاهرة .
- أستاذ الفيزيقا المتفرغ بكلية العلوم — جامعة القاهرة .



القصيم..

قلب الجزيرة العربيّة الأخضر

بقلم: سليمان نصر الله - هيئة التحرير

التاريخ العريق الحافل، الأرض الطيبة المعطاء، موطن الفروسية والبطولات النادرة، السماح والجود، روائع الأدب والشعر، منابت الغضا والأرطى والعرار، العيون الجارية، الأنسام العليلة، الكثبان الذهبية، الأودية الممرعة، أشجار النخيل كالغيد الحسان، الثمار الشهية المختلفة، الطيور المغردة على الأفنان.. تلك هي بلاد القصيم في عالية نجد، التي تعيش اليوم نهضة شاملة في جميع الميادين وخاصة في الميدان الزراعي.



صاحب السمو الملكي الأمير عبد الاله بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم يتحدث إلى كاتب الموضوع عن النشاط الزراعي في المنطقة.



نظام الري المحوري يستخدم بكثرة في مزارع القمح .

في جلسة ضمت أحد أبناء القصيم العاملين في «أرامكو» جرّنا الحديث إلى استعراض مناطق المملكة العربية السعودية، التي سبق لمجلة «قافلة الزيت» استجلاء معالمها واستطلاع نشاطاتها، فما كان من «صالح محمد الرديني» من مدينة «بريدة» عاصمة القصيم، إلا أن أشار من طرف خفي إلى منطقة القصيم، التي تجتاز اليوم مرحلة تطور زراعي ملموس، بفضل الخطط التنموية الزراعية التي تتبناها الدولة في القصيم، ذات الأرض الخصبة والمياه الوفيرة. وكان تجاوب «القافلة» سريعا إذ أخذنا في التأهب للسفر وكان الفصل ربيعا، فاتجهنا صوب القصيم جوا. وما أن فتح باب الطائرة في مطار القصيم حتى استقبلتنا أنسام القصيم العليلة المنعشة، ودخلنا مبنى المطار الجديد، وهو على صغره يمتاز بتصميم هندسي جميل وتنسيق تبدى فيه الانسجام، تحف به أحواض الزهور وأشجار الزينة من كل جانب. لم نمكث طويلا في مبنى المطار، فقد أقلتنا سيارة إلى مدينة بريدة التي تبعد عن المطار نحو ٣٥ كيلومترا. وسرنا على طريق معبد تمتد على جانبيه سهول فسيحة اكتست حللا سندسية، ومروج خضر زرعت برسيما ينهمر على أوراقه الغضة رذاذ الماء من أجهزة الري المحوري. وراحت تطل علينا أشجار النخيل الباسقات من بطون الأودية المحفوفة بالكثبان الرملية. وفجأة اتسع الطريق بل أصبح مزدوجا، غرست على جانبيه وفي وسطه الأشجار الظليلة والأزهار من كل لون، وقامت عليه أعمدة الأنوار الكهربائية، ذلك هو المدخل الرئيسي المؤدي إلى مدينة بريدة. ولم نسر إلا قايلا حتى تبدت أمامنا العمارات الحديثة والفلل الأنيقة، إنها بريدة، عاصمة القصيم، ذات الشوارع المنسقة، والمباني الجميلة، والمتاجر والمعارض الزاخرة بشتى أنواع البضائع والسلع. لقد اندثرت الأحياء السكنية القديمة المبنية من الطين أو كادت، وبرز مكانها أحياء جديدة منظمة، تلعب فيها أساليب العمارة الحديثة دورا رئيسيا. حقاً لقد تغير وجه بريدة تغيرا جذريا، واتسعت اتساعا عظيما في غضون أقل من عشر سنوات. لقد حدث أن مررت بها في سيارتي من المدينة المنورة إلى الرياض منذ نحو ثماني سنوات، ولم تقع عيناي آنذاك سوى على بيوت مبنية بالطين على الطراز العربي التقليدي القديم. واليوم أزورها وقد تبدلت جملة وتفصيلا، إذ غدت بريدة في عداد المدن الحديثة في المملكة تخطيطا وعمرانا، بيد أنها تمتاز عنها بواحات النخيل الجميلة والبساتين النضرة والمروج الخضر. هذا وقد بدت لنا عن كثب خلف البساتين تكوينات رملية وردية اللون، متوسطة الإرتفاع، تفصلها عن حافة «وادي الرمة» المشهور. كما صافحت عيوننا مبان حديثة ذات أنماط هندسية مختلفة كمبنى الإمارة، ومبنى فرع وزارة البلديات والشؤون القروية، ومبنى التلفزيون، والمدارس، والمعاهد، والمساجد القديمة والحديثة ذات المآذن الرشيقة. كل هذه الصور تتابعت سراعا أمامنا وكأنها سجلت على شريط سينمائي، يستهوي الفؤاد ويمتلك المشاعر، وهنا تذكرت تلك اللوحة الجميلة التي رسمها بخياله وفكره الشاعر «عبد العزيز النقيدان» أحد أبناء بريدة حين يقول:

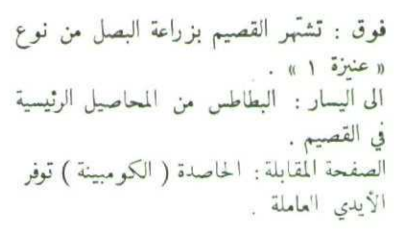
الروي والجمـــال ملء اهابه ... وسنى الحسن في اتقاد اشتبابه
تتغنى به الطيـــور نشاوى ... تتهادى مزدانة في رحــابه
شـاقها منه روضـة ومحيـا ... ه ونفح الأريج ملء ترابـه
وخرير المياه ينساب لحنـا ... عبقريا في وهنـه واضطرابه
ودعوص الرمـال شع بها النـور ... زكيـا في سهله وهضـابه
والبساتين ماثـلات بها الطـير ... شغوف بلحنــه وانسكابه



فوق : المياه الجوفية متوفرة في منطقة القصيم مما يساعد على ازدهار الزراعة فيها .
الى اليمين :
نظام الري المحوري يستخدم بكثرة في مزارع القمح .







فوق : تشتهر القصيم بزراعة البصل من نوع « عنيزة ١ » .
الى اليسار : البطاطس من المحاصيل الرئيسية في القصيم .
الصفحة المقابلة : الحاصدة (الكومبينة) توفر الأيدي العاملة .

انها صـورة تغنى بها الأهـل   وعاشـوا الجمـال وسط اهـابه
صنعتها يـد الإلـه فباتت   آية الله حين لاذت بـبـابه
تلك يا عشق الجمـال مزايا   لن تراها بالمثـل من أترابه

وانتهى بنا المطاف أخيرا في فندق السلمان الواقع على ربوة عالية يطل منها على أحياء مدينة بريدة وحدائقها الغنّاء .

طبيعة سمحة وأرض خيّرة

تمتاز منطقة القصيم بالهواء النقي ، والماء العذب الوفير ، والتربة الخصبة ، والمناخ القاري المعتدل ، والثمار الشهية ، والعيون الجارية ، والأعشاب والنباتات البرية المتنوعة ، والمراعي الطيبة ومراتع الأرانب والظباء . إن منطقة تتمتع بهذه المزايا كلها ، لا جرم ان كانت ولاتزال محط الأنظار ، فيها نزلت قديما قبائل عربية عريقة لها في التاريخ العربي صولات وجولات ، منها عبس ، وذبيان ، وفزارة ، وأسد ، وتميم ، وكلاب . فلا غرو والحالة هذه أن تغنى بربوعها الجميلة الشعراء والأدباء قديما وحديثا . فأنّى حللت في منطقة القصيم تتراءى لك خيالات الماضي البعيد ، حين تشاهد الأماكن التي وردت أسماؤها في قصائد عمالقة الشعر القدامى أمثال امرئ القيس ، وعنترة ، وزهير ، والنابغة الذبياني ، ولبيد وغيرهم . لقد احتفظ معظم تلك المواضع باسمائه القديمة حتى يومنا هذا ، لم يطرأ عليها تغيير أو تحريف إلا ما ندر كعيون الجواء ، والرس ، وعنيزة ، وأبان ، وضارج ، والنباج ، والمذنب ، والخبراء ، والحمى ، مع فارق واحد هو أن هذه الأماكن قد تطورت وازدهرت وأصبحت اليوم ذات شأن في هذه المنطقة . ففي القصيم أو على أطرافه دارت معارك العرب التاريخية ، التي أغنت الأدب العربي بأشعار البطولة ومعاني الفخر والفروسية ، كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء . وعلى أرضها درج فرسان العرب أمثال عنترة العبسي وزيد الفوارس الضبّي . كما شهدت ربوع القصيم جانبا مهما من حروب الردة التي كان لها الأثر الحاسم في تاريخ الإسلام . وكان يخترق القصيم طريق الحج العظيم المعروف بطريق حاج البصرة والذي يمر بالنباج وهي الأسياح حاليا .

أما حول تسمية القصيم بهذا الاسم فيكاد يجمع علماء اللغة أن كلمة القصيم مأخوذة من القصيمة وهي رمل ينبت الغضا . والغضا شجر عظيم من الأثل ، واحدته غضاة ، وخشبه من أصلب الخشب ، ولهذا يكون في فحمه صلابة ، وهو حسن النار ، وجمره ذكي الرائحة يبقى زمانا طويلا لا ينطفىء ، ولذا ضرب به المثل فقيل : نار الغضا ، وفي ذلك يقول سحيم عبد بني الحسحاس :

كأن الثريا علّقت فوق نحرها   وجمر غضا هبّت لـه الريح ذاكيا

فالقصيم كما نرى مرتبط بشجر الغضا ، وهذا يدل على خصب تربته ووفرة مياهه ، ولكثرة شجر القصيم وأجماته وغياضه من الغضا والأرطى ، كان في القديم مأوى للذئاب وبعض اللصوص من الأعراب الذين كانوا يترصدون الحجاج ، حتى لقد ضرب المثل بسرحان القصيم أي ذئب القصيم المشهور بالخبث والدهاء ، وفي ذلك يقول بشر بن أبي خازم الأسدي :

وباكره عنـد الشروق مكلب   أزلّ كسرحان القصيمـة أغبر



والقصيم بجوّه الأفيح وطبيعته الخلابة كان ولايزال يلهب خيال الشعراء ، حتى قل أن تجد موضعا فيه لم يرد ذكره في أشعارهم . فزهير بن أبي سلمى يقول :

لمن طـلل برامـة لا يريـم   عفا وخلا لـه عهد قـديم
يلوح كأنه كفـا فتـاة   ترجّع في معاصمها الوشـوم
عفا من آل ليـلى بطن سـاق   فأكثبـة العجـالز فالقصيم
تطالعنـا خيـالات لسلمى   كما يتـطلع الدين الغريـم

فرامة ، وبطن ساق الذي يحيط بساق الجواء مواضع لاتزال معروفة في القصيم ، والعجالز ومفردها عجلز هي رمال صعبة المرتقى تسمى حاليا الزريب . ولعل زهير بن أبي سلمى هو أكثر شعراء العصر الجاهلي ذكرا للأماكن في منطقة القصيم ، ففي معلقته التي نظمها في أعقاب حرب داحس والغبراء ، التي دارت رحاها بين عبس وفزارة نجد أسماء لمواضع كثيرة في القصيم ونواحيه ، فهو يقول :

أمن أم أوفى دمنـة لم تكلّم   بحومـانة الدراج فالمتثـلّم

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم
جعلن القنان عن يمين وحزنه وكم بالقنان من مُحل ومحرم
علون بأنماط عتاق وكلة وراد حواشيها مشاكهة الدم
ووركن في السوبان يعلون متنه عليهن دل الناعم المتنعم
بكرن بكورا واستحرن بسحره فهن ووادي الرس كاليد للفم
وفيهن ملهى للطيف ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسم
فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم

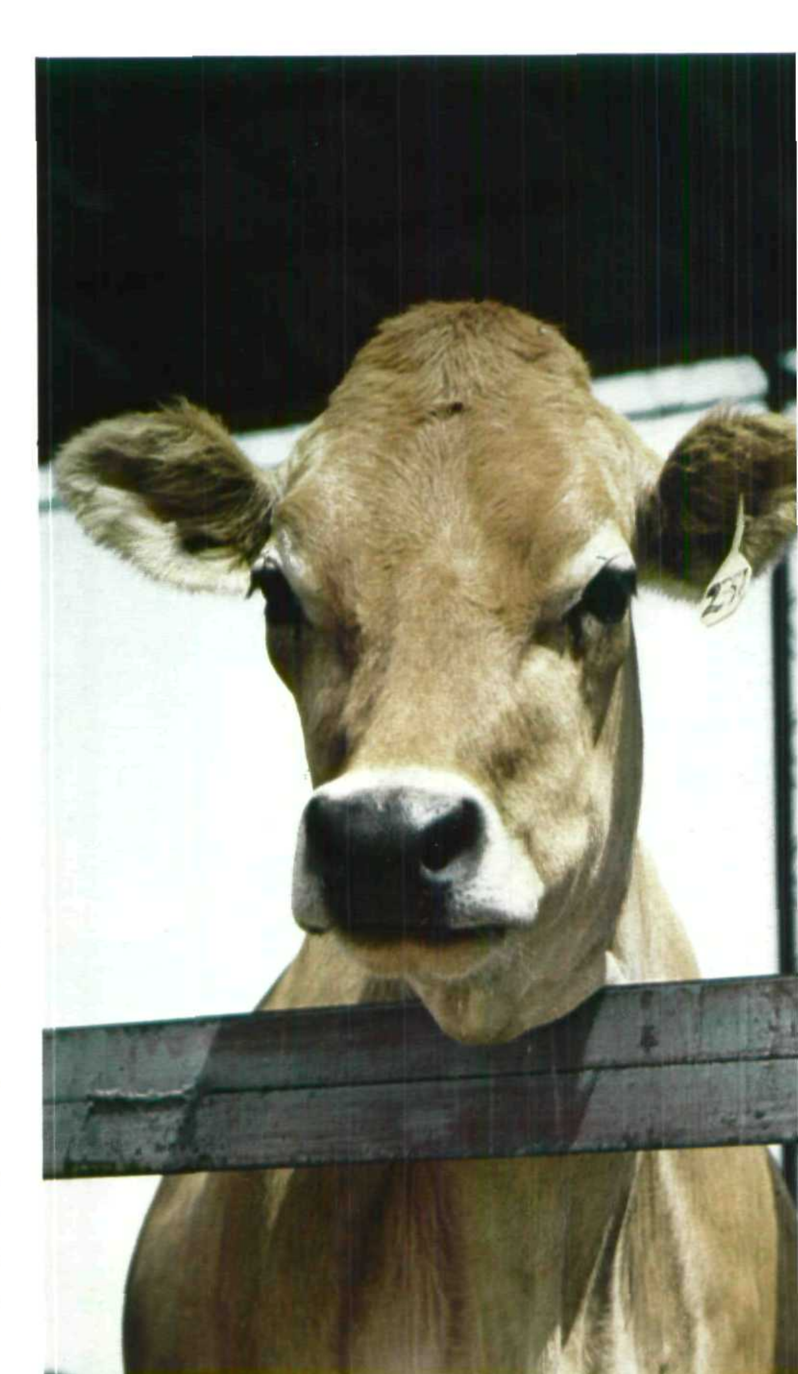
فالرس ، والسوبان ، والقنان ، وجرثم ، أماكن لاتزال تحتفظ بأسمائها القديمة . وهذا عنترة بن شداد العبسي أيضاً يذكر أماكن كثيرة في القصيم في معلقته المشهورة بالذهبية ، إذ يقول :

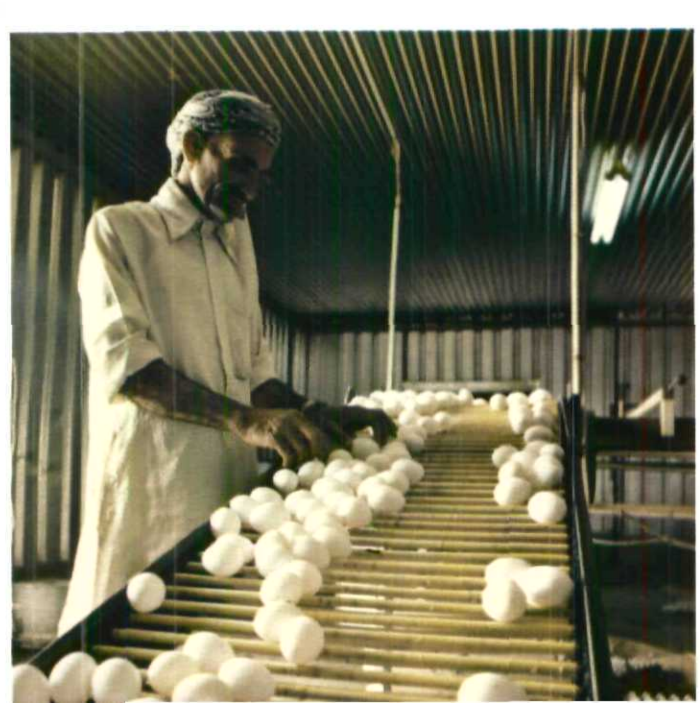
هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلم
فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لأقضي حاجة المتلوم
وتحل عبلة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصمان فالمتثلم

فهذه عبلة حبيبة عنترة تحل بالجواء ، والجواء وقاعدته عيون الجواء ناحية هامة من نواحي القصيم تقع في الشمال الغربي منه على بعد نحو ٣٥ كيلومترا من بريدة شمالي وادي الرمة ، وهي ناحية كثيرة المياه ، ورد اسمها في كثير من أشعار وأخبار المتقدمين . أما عنيزة توأم بريدة والتي سماها أمين الريحاني « باريس نجد » في كتابه « ملوك العرب » فقد تردد اسمها كثيرا في الأشعار والأخبار . فهذا امرؤ القيس يقول :

تراءت لنا يوما بسفح عنيزة وقد حان منها رحلة وقلوص

وعنيزة هي المدينة الثانية في القصيم يربطها ببريدة طريق معبد هو طريق الرياض . وتبعد نحو ٣٥ كيلومترا عن بريدة . وتحيط بعنيزة بساتين النخيل والمزارع الكبيرة التي تشتمل على أشجار البرتقال ، والتين ، والزيتون ، والعنب ، والتفاح ، والمشمش ، والخوخ ، بالإضافة إلى الخضروات





فوق : عجلة في إحدى مزارع الأبقار .
الى اليسار : إنتاج البيض في إحدى مزارع الدواجن في القصيم .
الصفحة المقابلة (فوق) : قطعان المواشي سارحة في المراعي في القصيم .
الصفحة المقابلة (تحت) : أخذ الاهتمام يتزايد بإنشاء مزارع الأبقار ومصانع الألبان في أرجاء القصيم .





فوق : القطوف الدانية من عنب القصيم .
الى اليسار : الرمان يزرع بكثرة في المنطقة .
الصفحة المقابلة (فوق) : الحبحب (البطيخ) من المحاصيل الرئيسية في القصيم .
الصفحة المقابلة (تحت) : الحمضيات بأنواعها البرتقال والليمون واليوسفي ناجحة في أرض القصيم .

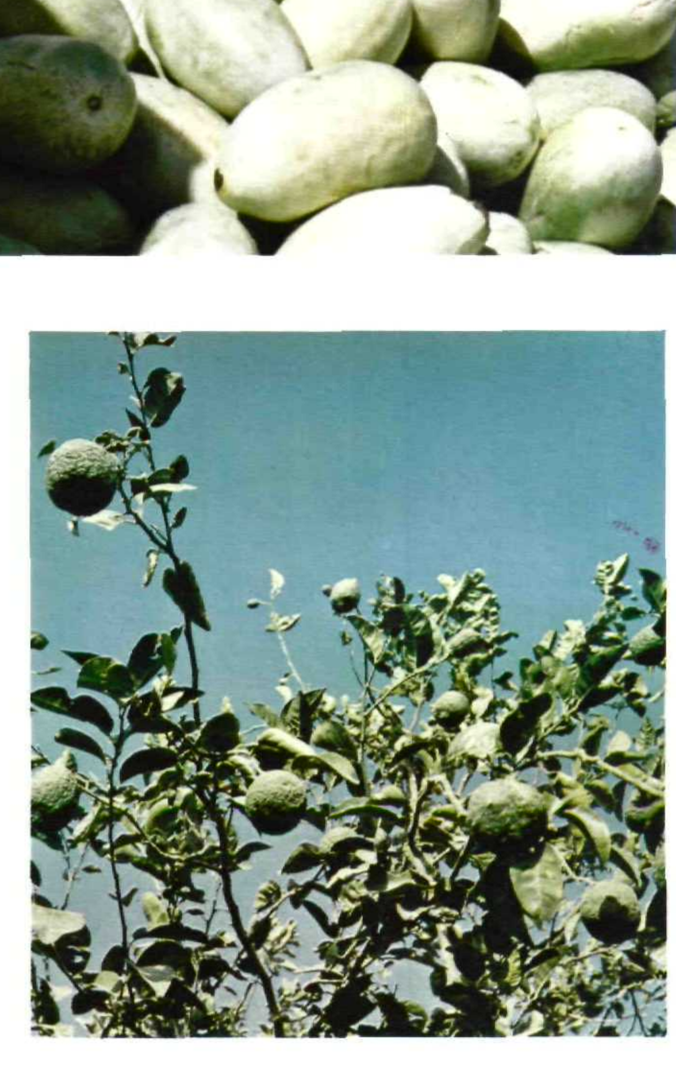
المتنوعة . وجدير بالذكر أن المياه في عنيزة عذبة وفيرة وتربتها جيدة مما ساعد على ازدهار الزراعة فيها .

ويضم القصيم عدا بريدة وعنيزة المدينتين التوأم مدنا وقرى كثيرة تبلغ نحو ٤٠٠ مدينة وقرية ، كلها تسير بخطى حثيثة على درب التقدم منها الرس ، والبكيرية ، والمذنب ، والشماسية ، والبدائع ، والخبراء ، والأسياح ، وعيون الجواء ، والنبهانية ، والفوارة ، ورياض الخبراء ، وحويلان وغيرها ، ومعظمها ذات أراض زراعية خصبة وفيرة المياه . والقصيم كمنطقة زراعية هامة في المملكة ، تحظى من الدولة بعناية فائقة ، تعكسها خطة التنمية الزراعية الهادفة إلى تطوير الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية والتصنيع الزراعي . وتقع منطقة القصيم ، كإحدى المناطق الإدارية في المملكة ، في القسم الجنوبي الشرقي من حوض النفود الرسوبي الكبير ، ويحدها من الشمال منطقة حائل ، ومن الغرب منطقة المدينة المنورة ، ومن الجنوب منطقة السر ، ومن الجنوب الشرقي منطقة الغاط والزلفي . وتبلغ مساحة المنطقة نحو ٨٧٥٠٠ كيلومتر مربع ، منها جزء كبير قابل للزراعة والاستصلاح ، علاوة على المساحات المزروعة حاليا . وفي المنطقة شبكة من الطرق المعبدة تربطها بالمدن الرئيسية بالمملكة والكويت ، أضف إلى ذلك الطرق المعبدة التي تربط معظم قرى القصيم الزراعية ، الأمر الذي ساعد على التوسع الزراعي ، ودفع عجلة التنمية الزراعية فيها خطوات واسعة إلى الأمام . وهناك في منطقة القصيم أربع فرق تابعة لوزارة المواصلات ، مهمتها فتح الطرق الزراعية ، وقد قامت حتى الآن بفتح طرق زراعية طولها نحو ١٧٣٠ كيلومترا ، وهناك طرق أخرى في طور التنفيذ طولها نحو ٣٦٠ كيلومترا .

موقع متوسط ومركز تجاري مرموق

يمتاز القصيم بموقعه المتوسط ، فهو بمثابة القلب بالنسبة للجزيرة العربية ، كانت تلتقي فيه طرق القوافل التجارية ، وتمر فيه طريق حاج البصرة المتجهة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، لذا انتعشت أسواقه تبعا لذلك ، وكان في بريدة أعظم سوق لتجارة الإبل في العالم . ولايزال سوق الإبل قائما حتى اليوم على مقربة من سوق الخضار والفواكه الجديد . والمعروف عن أهل القصيم أنهم كانوا ، حتى عهد قريب ، من أكثر سكان بلاد العرب الداخلية اتصالا بالعالم الخارجي ، أي قبل اكتشاف الزيت في المملكة العربية السعودية وما رافق ذلك من ازدهار اقتصادي شامل . فمنهم من عرف باسم « العقيلات » الذين كانت لهم علاقات تجارية مع فلسطين ، وسوريا ، والأردن ، والعراق ، ومصر ، حيث كانوا يتجرون بالإبل والماشية والخيول ، ويعودون منها بالسلع المتنوعة . كما كانت لهم علاقات تجارية مع الهند وإيران وجنوب الجزيرة العربية . ويقال أنهم كانوا من أوائل النجديين الذين وصلوا في هجرتهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعادوا منها قبل الحرب العالمية الأولى . وقد وصفهم الشيخ حافظ وهبة في معرض تعريفه بالقصيم قائلا : « تقع القصيم في طريق القوافل من مكة إلى بلاد ما بين النهرين ، وسوقها التجارية نافقة ، وتعتبر بلاد القصيم أكثر بلاد العرب الداخلية اتصالا بالعالم الخارجي ، وأهلها من أذكى أهل نجد ، وأرقهم طباعا ، وأكرمهم خلقا ، وأسخاهم يدا ، وأكثرهم أسفارا للخارج ، وأكثر التجار النجديين المعروفين في مصر وسوريا والهند والعراق من أهل القصيم » . لم يجانب الشيخ حافظ وهبة الحقيقة ، فهم كما وصف وأكثر ، فالقصيمي طموح نشيط في جميع مجالات العلم والعمل . فأنى حللت في أرجاء المملكة العربية السعودية تجد عددا من أبناء القصيم . وهم تجار بالفطرة ،





وذوو فصاحة وظرف وسرعة بديهة ، صفات تلمسها في كل من تتاح لك الفرصة للتحدث إليه ، صغيرا كان أم كبيرا ، كما أنهم محافظون على التقاليد الإسلامية والعادات العربية ، محبون للتطور ، أضف إلى ذلك أنهم شغوفون بالعلم والأدب فمنهم العلماء ، والفقهاء ، والكتاب ، والأدباء ، والشعراء ، والأطباء ، والمهندسون ، والمدرسون ، ورجال الأعمال ، ممن يشار إليهم بالبنان في أرجاء المملكة . ويضيق بنا المقام هنا أن نورد أسماء لها مكانتها العلمية الرفيعة من أبناء القصيم ، ممن يتولون مناصب رفيعة في أجهزة الدولة ، بيد أنه لا مناص من ذكر الشيخ « محمد بن ناصر العبودي » صاحب المعجم الجغرافي لبلاد القصيم ، وهو مرجع قيم يتجاوز مسماه كثيرا إذا لم يترك المؤلف ، جزاه الله خير الجزاء ، شاردة أو واردة عن القصيم إلا وأودعها ذلك المعجم الشامل .

يلاحظ الزائر لمنطقة القصيم الاهتمام المنقطع النظير ، بالشئون الزراعية ، فأنى اتجهت تشاهد المزارعين والعمال يعملون بهمة عالية ونشاط ملموس في المزارع والحقول والبساتين ، كما تشاهد الآلات الزراعية الحديثة كالحصادات ، والجرارات ، والحراثات ، وشبكات الري المحوري ، وغيرها من المعدات الزراعية ، التي غدت تستعمل على نطاق واسع في الزراعة وخاصة في المزارع الكبيرة ، ومزارع تربية الأبقار والدواجن ، التي أخذت تنتشر بشكل واسع في أرجاء المنطقة ، وذلك للتقليل ما أمكن من الاعتماد على الأيدي العاملة لندرتها وارتفاع تكاليفها . وحول موضوع توفير الأيدي العاملة والتطور الزراعي ومشاريع التنمية في منطقة القصيم ، كان لنا لقاء قصير مع صاحب السمو الملكي الأمير عبد الإله بن عبد العزيز ، أمير منطقة القصيم ، حدثنا فيه قائلا :

« لقد كانت الزيارة الملكية التاريخية لمنطقة القصيم في ٢٠ صفر ١٤٠١ أبلغ دليل على اهتمام جلالة الملك خالد بن عبد العزيز وصاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء وحكومته الرشيدة بأبناء هذا البلد ، الذي ينعكس في ميزانية هذا العام ، التي حملت البشر والابتهاج للمواطنين ، لما تحمله بين طياتها من مشاريع إنمائية في جميع الميادين التعليمية ، والصحية ، والزراعية ، والصناعية ، والاجتماعية ، لدفع عجلة النهضة التي تعيشها المملكة . إن في هذه الميزانية مشاريع خيّرة تخص منطقة القصيم ، حيث يحرص جلالة الملك المفدى وسمو ولي عهده الأمين على بذل المستطاع في سبيل تحقيق رفاهية المواطنين بالمنطقة لما يعود عليهم بالخير والنفع . وستظهر هذه المشاريع المزمع تنفيذها في المنطقة إلى حيز الوجود قريبا إن شاء الله بعد دراستها . وهناك إهتمام كبير من الدولة بالقطاع الزراعي في المنطقة يتجلى في الخطة الخمسية الثالثة (١٤٠٠ — ١٤٠٥ هـ) . إن منطقة القصيم معروفة بخصوبة تربتها ووفرة مياهها ، كما أن المواطنين نشيطون في الميدان الزراعي ، لذلك تعلق الدولة آمالا كبارا على منطقة القصيم لتحقيق الأمن الغذائي والاكتفاء الذاتي ، وهو الهدف الذي تسعى إليه حكومتنا ممثلة بوزارة الزراعة والمياه . ونحن في هذه المنطقة لدينا إمكانات الاكتفاء الذاتي بل وتصدير فائض المحاصيل الزراعية كالبطيخ (الحبحب) والبصل والتمور والغلال . وهناك اتجاه عام في المنطقة للمكننة في الزراعة للتعويض عن اليد العاملة الشحيحة ، إذ تقدم الدولة مساعدات سخية للمزارعين لتأمين المعدات الزراعية . كما أننا نفكر بتأسيس شركة كبيرة بمعونة الدولة ، يساهم فيها أبناء المنطقة ، لإقامة مزارع نموذجية كبيرة ، تستخدم فيها الآلات الزراعية على نطاق واسع ، وتتبع فيها أساليب الزراعة الحديثة ، وتعتمد فيها التقنية المتطورة في المجال الزراعي وتنمية الثروة الحيوانية » .



فوق : الطماطم من الخضروات التي يهتم بزراعتها المزارع القصيمي
الصفحة المقابلة : زهـــور القصيم .



هذا وتتوفر في القصيم عوامل كثيرة تعمل على نجاح الزراعة فيها ، فمناخها قاري ، معتدل ، تصل أعلى درجة حرارة في القصيم إلى ١١٠ درجات فهرنهايت في شهر أغسطس ، وتصل أدنى درجة إلى ٤٠ درجة فهرنهايت في شهر يناير . فالجو بصورة عامة جاف بارد في الشتاء ، معتدل في الصيف ، وليالي القصيم في الصيف تمتاز بالنسيم العليل والسماء الصافية ، والنجوم المتلألئة . وتهطل بالقصيم أمطار غزيرة على امتداد فصل الشتاء الذي يبدأ غالبا في أوائل أكتوبر وينتهي في أواخر أبريل . وتتعرض المنطقة لنوعين من الرياح : موسمية تأتي مع شهر مارس وتذهب مع أغسطس ، ودائرية متغيرة الاتجاه تشتد في أواسط فصل الشتاء . غير أن الرياح في المنطقة رخاء ، يندر أن تعصف أو تشتد أو أن تتعدى سرعتها ٦,٣ كيلومترات . وتعتمد الزراعة في القصيم على المياه الجوفية المتوفرة فيها وخاصة من تكوين ساق حيث المياه فوارة تتدفق بدون ضخ ، هذه المياه التي حولت الصحراء المترامية في الشمال والشرق إلى حقول خضر . أما تربة القصيم فهي تربة صفراء هشة بوجه عام ، مع وجود أنواع أخرى من التربة مثل الرملية والطينية . وفي حالة استصلاح الأراضي الرملية الجديدة يقوم المزارعون بنقل تربة طينية من منطقة وادي الرمة ، الذي يعتبر من أهم مميزات القصيم من الناحية الطبيعية ، إلى المزارع الجديدة لجعلها تربة متجانسة تجود فيها معظم المزروعات . أضف إلى تلك العوامل الدعم الحكومي المتمثل في الإعانات المقدمة للمزارعين وأصحاب مزارع الأبقار والدواجن ، وتوفير الآليات لهم ، وتوزيع الأراضي لمن يرغب في استصلاحها وزراعتها ، وشراء المحاصيل الزراعية الرئيسية من المزارعين كالتمور والقمح والبطاطس والبصل بأسعار مجزية تشجيعا لهم ، وتوزيع الأشتال والأسمدة والبذور على المزارعين . هذه العوامل مجتمعة بالإضافة إلى نشاط المزارع القصيمي وتضافر جهود أجهزة حكومية معنية بالزراعة في القصيم ، جعلت من المنطقة جنة خضراء فيها النخيل بأنواعه الكثيرة كالبرحي أفخر أنواع النخيل في القصيم وأغلاها ثمنا وتمرا ، والسكري ، والحلوة ، والشقراء ، والمكتومي ، والونانة ، والمقفزية ، وأم الخشب وغيرها . وجدير بالذكر أن فسائل النخل الممتازة تصل قيمة الواحدة منها إلى نحو ثلاثة آلاف ريال . كما تجد في مزارع القصيم أشجار الفاكهة كالعنب ، والرمان ، والتين ، والحمضيات ، والتفاح ، والمشمش ، والبطيخ الذي يزرع على نطاق واسع ويصدر الفائض منه إلى دول الخليج العربي . هذا وأخذت زراعة القمح والبطاطس والبصل تحتل مكان الصدارة في المنطقة ، إذ تزرع مساحات شاسعة . ففي عام ١٤٠١ هـ بلغت مساحة الأرض المزروعة قمحا نحو ٦٠٠٠٠٠ دونم في بريدة ، وعنيزة ، والبدائع ، والمذنب ، والشماسية ،

"وجعلنا من الماء كل شيء حي"

لقد أسبغ الله نعمه على منطقة القصيم بوفرة المياه الجوفية فيها وخصوصاً تربتها ، فهي من أهم وأغنى مناطق المملكة بوفرة المياه التي يعتمد عليها التطور الزراعي ، هذا ما قاله المهندس الشاب « عبد الله الصالح البراك » ، مدير مديرية الزراعة والمياه بالقصيم بالنيابة ، في لقاء لنا معه في مقر المديرية . وتقوم الزراعة في المنطقة على المياه الجوفية المخزونة في طبقات حاملة للمياه أهمها تكوين ساق وتكوين تبوك ، وهي تكوينات رسوبية في حوض وادي الرمة ، الذي يضم كميات كبيرة من الماء المتسرب إليه من الأمطار التي تسقط على ما لا يقل من خمسة آلاف كيلومتر مربع . ويتسرب بعض الماء إلى الطبقات الصخرية الحاملة للماء في المنطقة . ففي تكوين ساق يوجد الماء على عمق يتراوح بين ٨٠٠ متر و ١٥٠٠ متر ، وتتدفق المياه العذبة من هذا التكوين تلقائيا في الأعم الأغلب دون الحاجة إلى مضخات لرفعه ، وهي ما يطلق عليها المياه الفوارة . أما في تكوين تبوك فتوجد المياه على عمق يتراوح بين ٢٥٠ مترا و ٥٠٠ متر . ويعتبر تكوين تبوك في المرتبة الثانية من الأهمية بالنسبة للمياه الجوفية ، فهو يحتوي على كميات كبيرة من المياه ، بيد أنها ذات نوعية متوسطة . وهناك تكوينات أخرى حاملة للماء كتكوين الخف حيث يوجد الماء داخل الشقوق والفوالق ، كما هي الحال في معظم آبار منطقة المذنب والعمار والمربع . كما توجد المياه قريبة من السطح في تكوين الجلة كمنطقة الأسياح ، وتكوين المنجور في منطقة المستوى في الجنوب الشرقي من مدينة بريدة . والآبار في منطقة القصيم نوعان : آبار سطحية تحفر يدويا بقطر كبير إلى عمق يتراوح بين ٥ أمتار و ٥٠ مترا ، وآبار ارتوازية عميقة . ففي منطقة عنيزة تستعمل المضخات على الآبار الارتوازية لرفع المياه إلى السطح ، أما في منطقة بريدة والمذنب والبكيرية والبدائع فتتدفق المياه إلى السطح بفعل ضغط الغاز الموجود في باطن الأرض . وغالبا ما تكون هذه المياه ساخنة قد تصل أحيانا إلى درجة الغليان ، ولذلك يعمد المزارعون إلى مد أنابيب من البئر إلى بقعة منخفضة لتكوين بحيرة يتم فيها تبريد الماء قبل استعماله في ري المزروعات ، إلا أن اتباع نظام الري بطريقة الارتكاز الرئيسي أو ما يعرف بنظام الري المحوري ، الآخذ في الانتشار وخاصة في المزارع الكبيرة ، خلّص المزارعين من مشكلة تبريد المياه . وفي بعض المناطق الأخرى تتصاعد الغازات مع الماء ، وكان المزارعون حتى عهد قريب ، قبل أن يعم الغاز والكهرباء ، يستغلونه في طهو طعامهم ، وذلك بوضع قطع من الخيش في مجرى الماء ، ثم إشعال الغاز فيها .

إن جولة قصيرة على المزارع والبساتين تجعلك تقف على منظر أخّاذ ، حين تصافح عيناك سنابل القمح وأوراق نباتات البرسيم الغضة وهي تستقبل رذاذ الماء من وحدات الري المحوري ، أو حين تشاهد المياه العذبة المتدفقة من فوهات الآبار تنصب في قنوات الري ، لتأخذ طريقها إلى الأشجار والخضار في البساتين والحقول .

وفي أعداد قادمة سنستعرض ، إن شاء الله ، الأجهزة المنوط بها دفع عجلة التنمية الزراعية في منطقة القصيم وتطوير الثروة الحيوانية فيها ، والوقوف على أوجه النشاطات الزراعية الأخرى في أرجاء المنطقة .

الصفحة المقابلة : جانب من مدينة بريدة عاصمة القصيم ، حيث يبدو برج تلفزيون القصيم .

تصوير : علي عبد الله خليفة و مالكوم نوبل



منطقة القصيم حيث تبدو باللون الأخضر

ومنطقة البطين ، ومنطقة شري ، والجماز ، والأسياح . كما تزرع مساحات كبيرة بالبرسيم وهو المحصول الرئيسي للعلف الأخضر لتموين مزارع الألبان والأبقار والماشية . أما الخضروات فهي منتشرة بشكل واسع وتشمل الطماطم ، والكوسا ، والخيار ، والجزر ، والخس ، والباذنجان ، والباميا ، والفلفل ، والملفوف وغيرها . هذا وأخذت الزراعة المحمية مؤخرا تشق طريقها في أرجاء المنطقة ، بغية توفير الخضار على مدار السنة . وتعتبر مشاريع زراعة الخضار المحمية في البيوت المصنوعة من اللدائن من المشاريع الحديثة المربحة في القصيم .

وفي القصيم المراعي المشهورة إذ تنمو في فصل الربيع الأعشاب والنباتات البرية كالشيح ، والقيصوم ، والعرار ، والجعد ، والنفل ، والسعدان ، والربلة ، والقفعاء ، والحواءة ، والبسباسة ، والذعلوق ، والحمصيص . كما تنمو الأشجار الصحراوية المشهورة كالغضا ، والأرطى ، والأثل ، والشفلح ، وأشجار الحطب ذات الرائحة الذكية كالرمث والعجرم والعراد . هذه المراعي الطيبة تساعد على تربية الإبل ، والأبقار ، والأغنام والخيول العربية الأصيلة . وقد اشتهر قديماً « حمى ضرية » في الجهة الجنوبية الغربية من القصيم ، الذي اقتصر فيه الرعي على إبل الصدقة في صدر الإسلام ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، هو أول من حمى هذا الحمى لإبل الصدقة . وفي هذا الحمى قال أعرابي :

خليلي ما في العيش عيب لو أننا وجدنا لأيام الحمى من يعيدها
ليالي أثواب الصبا جدد لنا فقد أنهجت هذه علينا جديدها

هذا الوضع الزراعي الجيد في القصيم جعل معالي الدكتور عبد الرحمن عبد العزيز آل الشيخ ، وزير الزراعة والمياه يقول : « إن منطقة القصيم واحدة من الركائز الأساسية التي نأمل أن يبنى على أساسها اقتصادنا الزراعي القوي المتين . ومن يأت إلى القصيم ير التوسع الزراعي ويلمس النهضة الزراعية الشاملة ، لأن هناك مواطنين مقبلين على الزراعة ، وأراضي خصبة ، ومياها متوفرة ودعما بلا حدود من الدولة . إن ما تحقق من نهضة زراعية في القصيم شيء يسر » .





قصة قصيرة

«بائع الميرمية» (١)

بقلم : رفيق موسى عفانة - صفوى

على جانب الرصيف كان حمّاد «بائع الميرمية» يجلس في ملابسه الرثّة التي تفوح منها رائحة العرق الممتزج بغبار الطريق فتلطف من حدتها رائحة أعواد الميرمية الذكية . وتقوم في الخلف منه عمارة سكنية شاهقة ، وأمامه يمتد الشارع العام بدكاكينه ومخازنه . تعوّد أن يجلس في المكان نفسه كل يوم تقريباً ، ففي الصيف الحار يستظل بظلال العمارة السكنية ، وفي الشتاء الممطر ، ينشر مظلته القديمة فوق رأسه ، لتقيه وابل الأمطار الشديدة . دائماً ينادي وهو في مكانه .. «ميرمية» .. الحزمة بخمسة قروش .. «ميرمية» .. للشاي .. «ميرمية» لأوجاع البطن .. «ميرمية» لكل شيء . أحيانا ، كان يستمع وهو في مكانه إلى قصص شتى من أناس يقفون للحديث بالقرب منه ، وكثيرا ما كان يسمع قصصا مبتورة ، لم تكتمل بعد ، فيطلق لتفكيره العنان ليكملها بما يشاء من النهايات . كان يتأمل كل شيء يتحرك أمامه .. فهذا رجل عجوز قد هده الدهر يعبر الطريق بصحبة أحد أولاده مزهوا ، ما أسعده ؟ وتلك امرأة تحمل شيئاً على رأسها لتأخذه إلى بيتها ، وهي فرحة مستبشرة ، ما أسعدها ! وذاك طفل يمسك بيد والده وطفلة تقفز حول والدتها ، سعداء سعداء !! يقولها بألم وحرقة . أناس يمرون من أمامه في حركة دائبة ، والزمن يمر به كما يمرون . يبيع في يومه ما كتب له أن يبيع ، ثم يعود إلى بيته الصغير . ذي الحجرة الواحدة ، والتي لم تعرف أشعة الشمس إلى داخلها طريقا . كان يستلقي من عناء يومه فوق سريره الخشبي الذي يمتزج أنينه بأنين صاحبه . كثيرا ما كان يتخيل نفسه رجلا غنيا ذا مال وفير .. يلبس أفخر الثياب ، ويأكل أطايب المأكولات .. ولكن ، سرعان ما ينبهه صرير الخشب إلى حقيقة نفسه .. إنه مجرد بائع فوق الرصيف . كانت الأيام بالنسبة إليه تسير رتيبة متشابهة في نظام لا يتغير ، حتى جاء يوم خرج فيه من بيته مبكرا ، على غير عادة ، وبسط الرداء الذي يلف فيه أعواد الميرمية وتطلع إلى السماء ليسبر حالة الجو ، فرأى السحب الكثيفة تتلاطم ، فأيقن أن المطر أوشك على الهطول ، فنشر مظلته وجلس ملقيا برأسه بين ركبتيه ، ثم أخذ يرتب أعواد الميرمية على شكل حزم ، وهو ينادي .. ميرمية .. بخمسة قروش .. ميرمية .. ميرمية . أثناء ذلك لفحت وجهه نسمة باردة ، ودوى في أذنيه صوت الرعد ، ثم نزل المطر ، منهمرا ، فتراكض المارة في الشارع ، تاركين «حماد» .. ينادي في فراغ .. ينادي ، ينادي .. لا أحد يقترب .. فأخذ الرعد يقصف .. والمطر ينهمر .. والمارة يبتعدون .. والشارع يمتلىء بالماء .. لا أحد يكلف نفسه العناء لشراء شيء . أخذ يفكر هل يطوي رداءه وينطلق إلى حجرته ؟! أم يبقى في مكانه لعله يبيع شيئاً ؟! وقبل أن يقرر سمع صوت ارتطام شيء بمظلته ، فرفع رأسه ونظر إلى الوراء ثم صرخ بلهفة : يا إلهي محفظة نقود !! وبدون تفكير مد يده والتقط المحفظة المنتفخة ، وأخفاها على الفور في ملابسه ، ثم طوى الرداء ، وانطلق مسرعا إلى بيته . لم يقترب من السرير هذه المرة ، حتى لا يزعجه صرير الخشب . بل تربع على أرض الغرفة ، وأخرج المحفظة ، وضغطها بين يديه بكل شوق وحنين ، وسارع بفك كباسها وأخرج النقود ، ثم أخذ يعدها بلهفة العاشق . إنه لا يخطىء في العد ، كم كان غبيا في المدرسة لا يحسن عد شيء ، وها هو يعدها دونما أخطاء . مائة .. مائتان .. ثلاثمائة .. حتى وصل إلى الألف ، فصرخ من أعماقه : ألف دينار !!؟ ما أسعدني بك !! آه ... كم تمنيتك منذ زمن طويل ... وأخيرا وجدتك بين يدي .. ماذا أفعل بك ؟! أتزوج؟ المهر جاهز ينتظر الدفع .. لا .. لن أتزوج الآن . يجب أولا أن أجعلها الفين .. ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟ صمت قليلا .

(١) الميرمية : نبات بري ينبت في الجبال رائحته ذكية يغلى مع الشاي ويستعمله البعض لأوجاع البطن .

ثم عاود الحديث مع نفسه : سأشتري بعض الثياب الفاخرة ، وأحضر ألذ المأكولات .. ولكن النقود تنقص .. ستصبح ألفا إلا .. لا لن أمسها .. سأضعها في صندوقي الجائع إلى مثلها . فتح الصندوق ، أزكمت أنفه رائحة الرطوبة والعفونة ، ضحك في نفسه وقال : خذ علاجك أيها الصندوق وتعطر بعطر النقود لتغدو رائحتك جميلة منعشة ، ولكن .. أحرص عليها فإنها أغلى ما في الحياة . وبهدوء أقفل الصندوق ، ثم أخفاه تحت السرير .

حمل « حماد » نفسه وعاد ثانية إلى مكانه ليواصل بيع أعواد الميرمية ، إلى أن يهتدي إلى طريقة ينمي فيها ثروته . جلس بجسمه في المكان ، وعقله وتفكيره في الصندوق الجاثم تحت السرير . نسي في بادىء الأمر أن يبسط الرداء ، وأن يفتح المظلة حتى أصابه البلل ، ففطن إلى نفسه فبسط رداءه وحاول أن ينادي : مير..... مية . فلم يسعفه صوته لقد غدا صوت رجل غني لا يليق به الصراخ . مكث وقتا باسطا رداءه ، كاتما صوته ، حتى بدأ المطر يخف وأخذت بعض الأصوات تقترب ، أحدهم خاطبه : كم ثمن حزمة الميرمية ؟ فرد عليه ضاحكا : بقرش واحد . فعجب الرجل وقال له على الفور : أعطني كل ما لديك . فلف له الصرة بما فيها ، فتناولها الرجل ونقده ثمنها . أخذ حماد القروش القليلة باشمئزاز وتقزز ثم طار من فوره إلى بيته ، وحاول النوم ، فلم يستطع .. كان يهلوس بالنقود ، ماذا يفعل بها ؟ ومن أين أتته ؟! أيكون صاحبها يبحث عنها الآن ؟ ! أم أنه بلغ الشرطة ؟ وهم الآن يبحثون عنه .. إنتابه خوف وأصابه قلق .. وأخذ يقول في نفسه : كنت قانعا بما أنا فيه فلماذا أزج نفسي بأمر لا أعرف ما ينتهي إليه !؟ نقود ليست لي ، ولا أستطيع أن أقرر شيئاً حيالها .. كم هو متعب أن يجد الإنسان نفسه حائراً متردداً ! !

وبزغ الفجر ، ثم اعتلت الشمس كبد السماء ، وهو في حيرته ، لا يدري ماذا يصنع ، وفي النهاية وجد نفسه يتجه إلى المكان الذي يتزود منه بأعواد الميرمية ، ومن ثم حمل صرته وذهب إلى مكانه فوق الرصيف . كان الجو يومها صحوا ، والمارة كثيرون ، والشارع يسوده الهرج والمرج ، أخذ ينظر إلى الناس بإحساس غريب لم يعهده في نفسه من قبل ، إذ خيل إليه أن كل من ينظر ناحيته لابد أنه يعرف قصة المحفظة ، فاعتراه خوف شديد ، وانتابته وساوس كثيرة . تقدم نحوه أحد رجال الأمن فانخلع قلبه هلعا ، ووقف استعدادا للهرب ، فبادره الشرطي قائلا : أعطني حزمتين . فتنفس حماد بصعوبة ولف له ثلاث حزم ثم قال له : خذها هدية مني ، فابتسم الشرطي وقال : لماذا هدية ؟!! أليس هذا مصدر رزقك !؟ فرد عليه حماد متلعثما : هي عادة عندي ، لا آخذ ثمنا لأول بيع . فهز رجل الأمن رأسه وذهب بعيداً .

بقي حماد يعرض بضاعته إلى أن شارف النهار على الرحيل ، فمد يده وجمع ما تبقى من حزم ، ولفها وهم بمغادرة المكان ، وقبل أن يتحرك تناهى إلى سمعه حوار حاد يدور بين رجلين وقفا على مقربة منه ، فتربع على الأرض وفرد رداءه وأصاخ ليسمع قصتهما كما هي عادته . الرجل الأول يشير بيديه ويقول : هنا في هذا المكان سقطت . فرد عليه الرجل الثاني قائلا بحدة وغضب : سقطت هنا أم هناك لا شأن لي بذلك .. كل ما أريده منك أن تدفع وإلا أعدت إليك القسط الأول وبعت الشقة لغيرك .. أمهلك حتى الغد ، وإلا فقد أعذر من أنذر . فقال الأول : أقسم أنني جهزت لك النقود في الموعد ولكنها .. فقاطعه الثاني باستهزاء : ولكنها ضاعت .. يا رجل قل كلاما غير هذا .. هل يصدق أحد أنك أضعت ألف دينار دفعة واحدة ؟! وعند سماع حماد لكلمة ألف اشرأب عنقه وتسارعت دقات قلبه ، واضطرب كيانه كله ، وأحس برعشة غريبة ولكنه رغم ذلك تابع الإصغاء ليسمع الأول يقول : كنت وزوجتي نائمين ، وكانت طفلتنا قد استيقظت من نومها ، فذهبت إلى الحجرة المطلة على الشارع وأحضرت كرسيا لتصعد إلى النافذة وتفتحها كما تفعل والدتها كل صباح ، وكنت أنا من غفلتي قد علقت معطفي على مقبض النافذة ، فلما وصلت يد ابنتي إلى المقبض ، هوى المعطف إلى أرض الغرفة ، وانتثرت منه بعض الأشياء ، ومن بينها محفظة النقود، ولما رأت ابنتي المحفظة ، نزلت وتناولتها ، ثم صعدت ثانية وفتحت الشباك وفي تلك الأثناء بينما كانت تنظر عبر النافذة ، قصف الرعد بشدة فارتعشت يد ابنتي وسقطت منها المحفظة ، وبدلا من أن تنظر إلى أين سقطت ، نزلت عن الكرسي بسرعة واختبأت خلف الباب من شدة خوفها منا . ولما استيقظنا من النوم جاءت زوجتي إلى الغرفة لتفتح النافذة فرأت المعطف على الأرض والنافذة مفتوحة . نادتني بسرعة ، ولما حضرت تناولت المعطف وفتشت عن المحفظة فلم أجدها ، فصعقت من هول المفاجأة ، ولم أدر ماذا أقول ، واعتقدت أول الأمر أن لصا قد سطا على البيت أثناء نومنا . اعتقدت ذلك وأنا أعلم أن الوصول إلى نافذة في الطابق الثالث أمر يكاد يكون مستحيلا . فنبهتني زوجتي إلى أن النافذة فتحت من الداخل بدليل وجود الكرسي . فقلت على الفور إذن هو أحد الأولاد ، وهنا خرجت ابنتي الخائفة من خلف الباب وهي تبكي وترتجف ، ثم حكت لنا ما حدث لها عندما حاولت فتح النافذة . فهرولت مسرعا إلى الشارع فلم أجد أثرا للمحفظة ، ولا حتى لبائع الميرمية الذي اعتدنا رؤيته دائماً في نفس المكان . هنا ازدادت دقات قلب حماد ، وخاف أن يفطنوا إليه فيسألوه ، فأشاح وجهه وانشغل في ترتيب أعواده .. وأثناء ذلك تناهى إلى سمعه آخر كلمة نطق بها الرجل الثاني : مهما يكن لن أمهلك أكثر من يوم واحد ، قالها وانسل تاركا الآخر غارقا في حيرته وهمه . وهنا سرت في جسد حماد أحاسيس غريبة لم تلبث أن دفعته إلى القيام من مكانه والتوجه فورا إلى حجرته ليكمل للرجل قصته المبتورة ، وهناك أخرج النقود التي حمد الله على أنه لم يبددها وانطلق من فوره إلى بيت الرجل الذي أضاع نقوده ، وطرق الباب بشدة وإصرار ، ولما انفتح الباب ، وجد نفسه وجها لوجه مع الرجل . فنظر إليه حماد بحياء فوجد الدموع في عينيه ، وحياه وهو مطرق إلى الأرض ، وتابع قائلا له : سيدي سأعيد إليك شيئاً يهمك كثيراً ... ولكن شرطي الوحيد أن لا تسألني شيئاً . دهش الرجل بادىء الأمر ثم قال بخشونة وماذا عساك تعيد إلي !؟ فناوله حماد المحفظة وهو يقول : محفظتك يا سيدي . فجحظت عينا الرجل للحظة ثم اختطف المحفظة كطير جارح انقض على فريسته ، ثم تمتم ببضع كلمات لم يفهم حماد منها سوى : رجعت قبل الموعد . انثنى حماد إلى الوراء ليغادر ، فاستوقفه الرجل قائلا : مهلا أيها الطيب لأعطيك شيئاً . فرد عليه حماد بصوت خفيض : دعني أذهب يا سيدي فإني أخاف على أعواد الميرمية أن تدوسها أقدام المارة . فقال الرجل : لن يدوس أعوادك أحد فقد كنت في الماضي مثلك أبيع الميرمية . فضحك حماد وقال مستغربا : كنت أنت تبيع الميرمية ، وتزوجت ، وتحاول شراء بيت .. شيء لا يصدق . فتقدم الرجل وربت على كتف حماد ثم قال : بالصبر والمثابرة بعت الميرمية وأشياء أخرى كثيرة وكان الأمل نبراسي والصبر مكمن قوتي . غادر حماد المكان وهو يردد : الأمل ... والصبر ... حقاً إنها كلمات جميلة . ولما وصل إلى مكانه ، وجد خلقاً كثيراً يتناولون أعواد الميرمية ، فوقف بعيدا يرقب ما يفعلون إلى أن انتهوا من شراء آخر حزمة بأنفسهم . فتقدم وعدّ النقود التي كانوا يضعونها ثمناً للحزم ، فوجدها كما لو أنه كان موجودا ، بل ويزيد ، فأخذ يتمتم وهو في منتهى الراحة ... لن يدوس أحد رزق أحد .







لقاء مع :

الأستاذ عبدالله العلي الزامل

أجراه : يوسف خالد أبو بشيت - هيئة التحرير



إن الاهتمام بالتراث وحفظه من الضياع لأمانة يقع عبؤها على عاتق الأمة التي يجب عليها أن تدرك أهمية هذه الأمانة . فهي تمثل كيانها وكيان أجيالها القادمة ، لتكون بمثابة مصابيح مضيئة تنير لها طريقها إلى المستقبل .

وقد درجت « القافلة » على إجراء لقاءات مع عدد من المهتمين بالتراث . وفي هذا العدد التقت بالشاعر ، والأديب ، والمؤرخ الأستاذ عبد الله العلي المنصور الزامل ، أحد المهتمين بالتراث .

حديث في الأدب

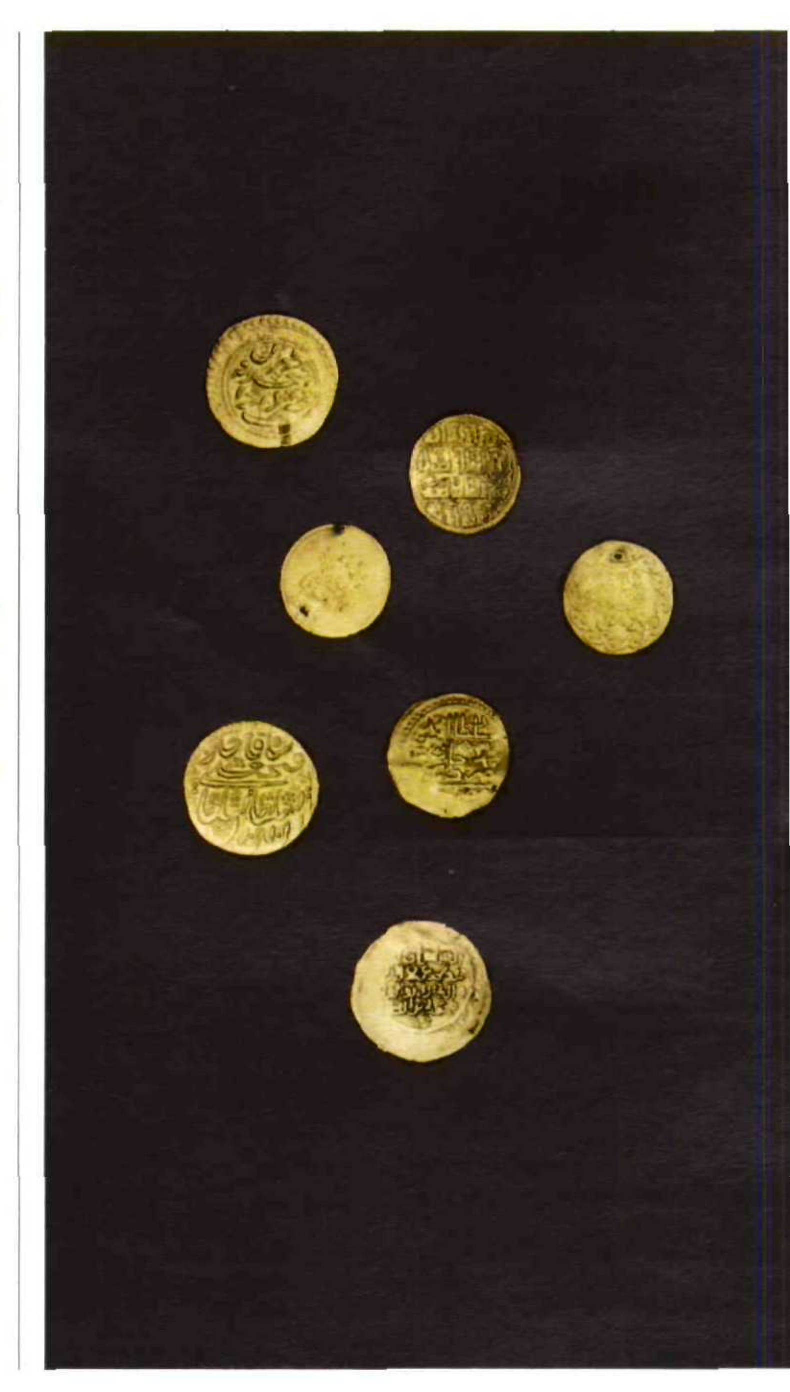
إن حديث الأدب الشعبي مع ضيفنا الأستاذ عبد الله العلي الزامل ، حديث ذو شجون .. فقد أحب هذا النوع من الأدب وأصبح شغله الشاغل ، فانكب على تعلمه والتمعن فيه ، ولازم البدو في الصحراء لفترة غير قصيرة ، حتى تعلم منهم لغة الشعر الشعبي ، وحفظ الكثير من أشعار فحولهم .

القافلة : كل أديب أو شاعر يحب مقالة أو قصيدة من نتاجه الأدبي ، فما أحب قصائدك إلى نفسك ؟

الزامل : إنني أعتبر قصائدي كأولادي ، فلا يمكنني أن أفضل أحدا على آخر ، فكل قصائدي محببة إلى نفسي ، إلا أنني أعتز بشعر النسيب أو الغزل العذري . كما أعتز بالشعر الذي يأتي لمناسبة من المناسبات دون تكلف أو تصنع ، اسمع :

يا نـور عين المهـا من أي منهـاجي
زرتـي حزين غريم هـايم شـاجي
أبديتي الصبـح من غرة سـنا وجهك
وأبصر بنـورك ظـلام الخرمس الداجي

وعلى العموم فانني أحب الشعر الشعبي القديم . وإليك هذه القصيدة وهي عبارة عن معارضة للقصيدة المشهورة التي تغنى بها









عدة فنانين ، ومطلعها :

البـــارحة يا حبيبي ضـــاق صـــدري
من واهج بالحشـا حرق لهيبـــة

أقــول :

حمـــامة هيضت عبرات صــــدري
تلعي وأنـــا العي ولا لي مقـــدريه
من قـــال لي وش عـــلامك قلت مـــا أدري
أنـــا أتعـــبّر وعــبراتي خفيـــه
قالــوا عليـــل وقلت الحب يجـــري
أنـــا عليـــل على حوض المنيـــه
قالــوا طبيب وقلت الله يـــــدري
طبيبـــكم مـــا يـداوي لي شكيـــه
قالــوا نحيـــل وقلت الجسم مـــبري
بري السكاكين عيـــدان طريـــه
قالــوا محب وقلت الله يـــــدري
من بالهــــوى مغـــرم نفسه شقيـــه

إلى آخر القصيدة حيث أقول :

يا خشف ريم ضربهـــا ريـــح نسري
طـــرادهـــا دايم عزومـــه رديـــه

القافلة : بصفتك من الأدباء المهتمين بالأدب الشعبي ولك كتاب في هذا المضمار ، فهل تعتقد أن الأدب الشعبي مازال له رواده وجمهوره ، أم أنه سيندثر لعدم الاهتمام به ؟

الزامل : الأدب الشعبي موجود وسيبقى ، وهو يتميز بالأصالة . ولا أعتقد أنه سيندثر مادام يعبر عن بيئة الإنسان ومحيطه وهمومه . والمطلع على كتابي « من الأدب الشعبي » يدرك قيمة هذا التّراث ، فقد جمعت في الكتاب مجموعة قصائد مختلفة لشعراء كثيرين ، تمثل الطبيعة العربية الأصيلة ، أمثال : عبد الله بن محمد بن فرجْ – شاعر الكويت ، وراكان بن حزام بن حثلين – زعيم قبيلة العجمان ، ونمر عدوان – من أمراء البلقاء بالشام ، وسليم بن عبد الحي – شاعر الأحساء ، وغيرهم ممن استمدوا مادة أشعارهم من صميم واقعهم الذي كانوا يعيشونه .

القافلة : أعتقد أن كثيرا من المثقفين الشباب لا يهوون الأدب الشعبي ، فما رأيكم في ذلك ؟

الزامل : ان الأدب الشعبي مرتبط ارتباطا وثيقا بأم اللغة العربية الفصحى . والذين لا يهوون الأدب الشعبي يتخاطبون فيما بينهم باللهجات العامية المختلفة .. وقد بينت في كتاب آخر لي بعنوان « أضواء على الأدب الشعبي » ، وهو كتاب مقارنة بين الشعر العربي الفصيح والشعر النبطي المليح . بينت فيه أن الشعر النبطي يختص بلهجة كل بلد ، ولعله يشكل نقطة الالتقاء عند أهل تلك البلد . وإن من ذمه إنما لأنه لم يعرف معانيه ولأن الشعر قيل بلهجة لا يفهمها هو وإن من جهل شيئاً أنكره وعاداه . وفي الكتاب عرضت موجزا لبعض نصوص مقارنة بين الشعر الفصيح والشعر النبطي . كقول زهير بن أبي سلمى :

وكأن تـــرى من صـــامت لك معجبـــا
زيــــادته أو نقصــــه بالتكلـــم
لسان الفتى نصف ونصف فـــؤاده
ولم يبـــق إلا صـــورة اللحم والـــدم

يماثله قول محمد العبد الله القاضي :

إلى جـــل رجـــل في عيـــونك فمالـــه
وأوزن ثقـــل عقله بعقلك بمثقـــال (١)
وبيين لك فضــــل الرجـــل في مقالـــه

(١) جل : عظم وكبر . فماله : أبحث معه الحديث .






إلى جـا مجـال فيه فض للاشكال (٢)

وقول حاتم الطـائي :

خلقت أحب السيف والضيف والقرى
وورد حيـاض الموت والموت أحمـر

يماثله قول تركي بن حميـد :

بالليـل أصـالي حاميـات المحاميس
والصبح أطـارد كل قبـا قحومي (٣)

القافلة : يوجد في منطقة الخليج العديد من رواد الأدب الشعبي ، فهل لكم علاقات أدبية أو مساجلات شعرية أو مراسلات مع بعض منهم ؟

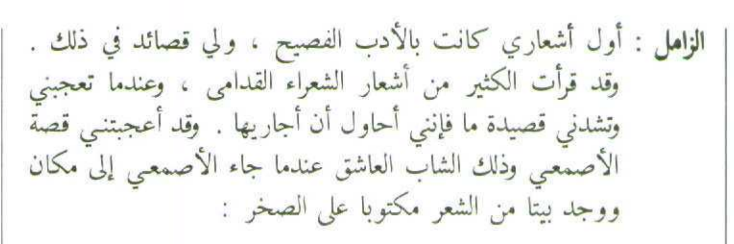
الزامل : الحقيقة أنه لم تكن لي اتصالات مع أي منهم ، ولكنني أعتز بشعراء الخليج القدامى ، وكما ذكرت لك فقد جمعت أشعارا لعدد من شعراء الخليج في كتابي « من الأدب الشعبي » الذي صدرت طبعته الأولى في عام ١٣٩٨ هـ .. وإنني بصدد إصدار دواوين لأشعار محمد عبد الله القاضي ، وسليم بن عبد الحي ، وعبد الله محمد الفرج ، وراكان بن حثلين ، وتركي بن حميد . وبالاضافة إلى ذلك فانني قد انتهيت من إعداد ملحمة عن جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ، طيب الله ثراه ، وسلمتها إلى وزارة الإعلام لنشرها . وهذه الملحمة على غرار الملحمة الشعبية التي ألفتها عن المغفور له الملك عبد العزيز في تأسيس المملكة العربية السعودية .

القافلة : بما أنكم من الرواد ، أو المهتمين بالأدب الشعبي فهل لديكم أي اهتمام بالأدب الفصيح ؟


الاستاذ عبد الله العلي الزامل ، أحد المهتمين بالتراث الشعبي

(٢) في مقاله : في حديثه وكلامه .
(٣) أصال : أجاد . قبا : من أوصاف الخيل المحمودة .
قحومي : تقدم ولا تهاب الرمي وخلافه .





الزامل : أول أشعاري كانت بالأدب الفصيح ، ولي قصائد في ذلك . وقد قرأت الكثير من أشعار الشعراء القدامى ، وعندما تعجبني وتشدني قصيدة ما فإنني أحاول أن أجاريها . وقد أعجبتني قصة الأصمعي وذلك الشاب العاشق عندما جاء الأصمعي إلى مكان ووجد بيتا من الشعر مكتوبا على الصخر :

ألا أيهـــا العشّاق بـــالله حدثـــوا
إذا حـــل عشق بالفتى كيف يصنع

وبقية القصة معروفة . وقد أردت أن أجاري ذلك لأتعلم ، فقلت قصيدة ، وهي من أوائل شعري .. مطلعها :

ألا أيهـــا العشاق بـــالله أقبلـــوا
فعنـــدي حديث العشق واف مكمـــل

ومنهـــا :

إذا أقبلت قلت الصبـــاح وقد بـــدا
يشعشع نـــورا فوق خـــديه مرســـل

إلى آخر القصيدة . ولي قصيدة بعنوان « عذراء من البادية » ، ومطلعهـــا :

كم من فتـــاة بروض القلب راتعـــة
كالشمس في الحسن بالأنـــوار تستتر
إن أقبلت أطرقت منهـــا الظبـــا خجـــلا
أو أدبرت شم منهـــا عرفهـــا العطـــر
لاسيما الغـــادة الهيفـــا التي ملكت
صميم لبي فـــلا تبـــقي ولا تـــذر

إلى أن أقول في آخر القصيدة :

فمـــذ رآه حمـــام الأيك حن لـــه



الاستاذ عبد الله العلي الزامل يطلع كاتب السطور على مجموعة من الطوابع الخاصة ببعض بلدان العالم .









وفي الدجى سـامرتـه الأنجم الزهــــر
فيـــا أهيــل الحمى جــودوا بقربكم
على المحب الذي قــد مسه الضــــرر
صــلى الإلـه على المختـــار سـيدنا
وصحبــه من لدين الحــق قد نصـــروا

القافلة : ما هو موقفكم من الشعر الحديث أو الشعر الحر ؟

الزامل : أنا لا أعتبر الشعر الحديث شيئاً ، بل أعتبره شعرا غريبا . وأنا أشبّه الشعر الحر باللؤلؤ الموضوع في طبق ، وأشبّه الشعر المقفى بعقد لؤلؤ منظوم في جيد حسناء ... إذا لم يكن الشعر منظوما فليس بشعر . وأنا شخصيا أعتبر من يعمد إلى الشعر الحر أنه عاجز عن الإتيان بشعر مقفى .

هوَايَـة جَـمع الطوابـع

هواية جمع الطوابع من الهوايات المحببة والمفضلة لدى الكثيرين من الناس. وربما قد استهوت هذه الهواية الكثير من الناس منذ سني دراستهم الابتدائية ، ودأبوا على تنميتها بشتى الطرق حتى أصبحت مجموعة طوابعهم اليوم تعدّ ثروة كبيرة إما لندرتها أو لتعددها وتنوعها . وضيفنا لهذا العدد ، الأستاذ عبد الله الزامل ، أحد أولئك الذين أحبوا هذه الهواية واستمروا في جمعها حتى أمسى جامعا لنحو مليون طابع غير مكرر لمختلف دول العالم .. وبصدد هذه الهواية ، طرحنا على الأستاذ عبد الله بعض الأسئلة حول نشأة هذه الهواية لديه وكيف استطاع أن ينميها ليصل بها إلى هذا العدد الهائل .

القافلة : يهتم كثير من الناس ، على اختلاف أعمارهم ، بهواية جمع الطوابع إهتماما كبيرا ، فمتى بدأت هذه الهواية لديك ؟

الزامل : بدأت أهوى جمع الطوابع عندما كنت طالبا في المدرسة ، ولم أعتقد وقتئذ أن الطوابع لها قيمة ثقافية ومالية ، بل كان كل ما يشدني إليها ، في ذلك الوقت ، هو اختلاف ألوانها وأشكالها . وبعد أن وعيت أهمية الطوابع زاد تعلقي بها أكثر مما مضى ، وبدأت في تنسيقها وترتيبها حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن .

القافلة : نعرف أن مجموعة الطوابع لديك تضم نحوا من مليون طابع مختلف ، فما هو الأسلوب الذي تتبعه في ترتيبها ؟

الزامل : أنت تعرف أن طابع كل دولة يحمل تاريخ إصداره ، وعندما أحصل على طوابع مختلفة لكل دولة ، فإنني أرتبها حسب تواريخ إصدارها .. وقد تطرح بعض الدول طوابع مختلفة الفئات لمناسبة ما ، وهنا أقوم بترتيبها حسب فئاتها . وعندما يتعذر عليّ الحصول على أي أو بعض من مجموعة هذه المناسبة مثلا ، فإنني أرجع إلى « الكتالوجات » الخاصة بالطوابع لأبحث فيها عن ضالتي ، ثم أرسل في طلب الطابع الناقص . وقد أضطر ، في بعض الأحيان ، إلى شراء مجموعة طوابع مختلفة لا أحتاجها كلها ، ولكن بغيتي بينها فأضطر لشرائها جميعا .

القافلة : جمع مليون طابع يعني الكثير من الجهد والوقت ، وربما المال أحيانا ، فهل تعتقد غير ذلك ؟

الزامل : طبعاً كل شيء لا يأتي بالهين ، ناهيك عن الطوابع .. إنها تحتاج إلى تعب وصبر . فمن خلال عدة رحلات قمت بها خارج المملكة وداخلها ، وعن طريق الاتصال بأندية الطوابع ومراسلاتي المتعددة مع الهواة ، صرفت أموالا كثيرة في سبيل ذلك . ومن حبي لجمع الطوابع كنت عندما أخرج من منزلي لشراء بعض حاجات البيت ، ويكون في جيبي حوالي مائة ريال ، وأصادف شخصا لديه طوابع أو أشياء أثرية قديمة ، فإنني لا أتردد في شرائها بمصروف البيت ذلك اليوم . وقد أضطر بعض الأحيان إلى استدانة مبلغ إضافي من صديق لتكملة قيمة الصفقة التي اشتريتها . وعندما أعود إلى البيت وأسأل عن الحاجات المطلوبة ، أخبر الأهل أن صديقا دعاني للغداء ولم أتمكن من شراء تلك الحاجات .. وهذا دليل على أنني كنت أنفق الكثير على هذه الهواية حتى وإن كان المال من قوت أولادي .

القافلة : لكل هواية فائدة جسمية ، أو مالية ، أو ثقافية ، فما فائدة جمع الطوابع ، أو بالأخص ما الفائدة التي جنيتها أنت من هذه الهواية ؟





الزامل : طبعاً لهواية جمع الطوابع فوائد جمة ، فهي علم وتاريخ وثقافة بالإضافة إلى فائدتها المالية عندما يكون الطابع نادرا . أما بالنسبة لي فقد استفدت منها فائدة ثقافية وتاريخية ، فعن طريقها اطلعت على تراث أمم كثيرة وأمدتني بثقافات متنوعة . وقبل حوالي ٢٠ عاما خلت ، نشرت قصيدة في جريدة « البلاد » ضمنتها فائدة جمع الطوابع ، قلت فيها :

اجعل هوايتـك الطوابع لا تكن	**في جمعها مترددا متـوان**
إن الطوابع جمعها لهوايـة	**تهدي بهـاويها إلى العرفان**
إن الطوابع جمعها لذخـيرة	**علم وأمـوال بـلا حسبان**
إن الطوابع كلها لجميـلة	**وظريفـة زود بلا نقصـان**
تبـدو لعينك في بداعة شكلها	**زهر قد انتثرت بصحن جمان**
هاتيك رائحة يفوح عبيرهـا	**أما الطوابع أفعمت بمعـان**
إني أرى أن الطوابع فضلها	**علم وإدراك بـــلا خسران**
فلربما حظ سعيد نلتـــه	**فتبيعها في أرفـع الاثمـان**
أدرس معالمهـا فتعرف سرها	**وتعود في ذكراك كل زمـان**
أنظر ودقق مـا حوتـه رسومها	**صورا تجلت روعة الإتقان**
كل الممالك إن أردت تتبعـا	**أطوارهـا تلقى بكل زمـان**

القافلة : أعتقد أن من يجمع مثل هذا العدد من الطوابع ، لابد وأن يكون لديه بعض أنواع مختلفة من طوابع نادرة أو طوابع لدول لا وجود لها حالياً . اما بانضمامها لدول أخرى أو لتغير اسمها . فهل لديك مثل ذلك ؟

الزامل : نعم لدي مجموعة لا بأس بها ، وفيها طوابع لدول لا وجود لها الآن ، ويوجد كذلك طوابع فيها أخطاء ، وأنا أحتفظ بها في مكان خاص ، وليس مع هذه المجموعة .

القافلة : هل أقمت معرضا لهذه الطوابع ، وإن كان الجواب بالنفي ، فمتى يتم ذلك ؟

الزامل : لم أقم بأي معرض حتى الآن ، والسبب أنني كنت مرتبطا بالوظيفة ولم يكن لدي متسع من الوقت للقيام بذلك . أما الآن وأنا لا أقوم بأي عمل ، فقد وجهت جهودي لهذه الأشياء ، وإن شاء الله في القريب — سأقوم بإعداد معرض لذلك .

القافلة : نعلم بأنك تهتم أيضاً بجمع قطع من العملات أو النقود القديمة ، فهل لك أن تعطينا فكرة عما جمعته من ذلك ؟

الزامل : لدي عملة رومانية ، وعملة تحمل وجها رومانيا ووجها عربيا ، كما توجد لدي أول عملة في الإسلام التي سكت في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان في عام ٧١هـ ، وهي عبارة عن قطع ذهبية وفضية . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن مجموعتي تضم أيضاً قطعا ذهبية يرجع عهدها إلى أيام الدولة العباسية .

ذكريات مع الملك عبد العزيز

ما أحلى الأوقات واللحظات التي يسترجع فيها المرء ذكريات الماضي ليعيش سويعات قليلة متأملا أحداث السنين الخوالي بكل ما زخرت به من مواقف جميلة .. ولكن عندما تكون الذكريات ، ذكريات عاشها المرء مع شخصية تاريخية لها أهميتها كشخصية الملك عبد العزيز ، طيب الله ثراه ، فإنها تعني ذكريات من نوع آخر .. إنها ذكريات الشجاعة ، والفراسة ، والمواهب الفذة ، والأمن ، والعدل . وضيفنا الأستاذ عبد الله الزامل الأديب والشاعر وهاوي جمع الطوابع والعملات القديمة ، هو مؤرخ أيضاً ، فقد لازم الملك عبد العزيز قرابة سبعة عشر عاما كانت حافلة بمواقف فريدة . والأستاذ الزامل لم يدع ذكرياته وانطباعاته عن المغفور له الملك عبد العزيز أن تمر مر الكرام ، بل سجلها في كتابه القيم « أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود » ، الذي خرجت طبعته الأولى عام ١٣٩٢ هـ .

القافلة : بصفتك كنت ملازما لجلالة الملك عبد العزيز ، طيب الله ثراه ، لمدة طويلة ، فهل تحدثنا عن بعض المواقف التي انتزعت أعجابك خاصة وان كثيرا من المحللين السياسيين شهدوا له بأنه رجل دولة من طراز فريد ؟

الزامل : أول التحاقي بالعمل مع الملك عبد العزيز ، تغمده الله بواسع



رحمته ، كان في الشرطة اللاسلكية الخاصة به ، فإن أقام في (مقناص) أو سفرات أقمت معه ، وكان يرسلني في مهمات مختلفة هنا وهناك ، فقضيت معه سبعة عشر عاما . وكان رحمه الله مركزا على اللاسلكي وذلك لرغبته الدائمة في تسقط أخبار المملكة اليومية من أقصاها إلى أدناها لكي لا تفوته أي شاردة أو واردة . وكان رحمه الله يهتم بالأمور جميعها .. صغيرها وكبيرها ويضع الحلول المناسبة لها .

وثمة موقف آخر أعجبني في جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ، وهو أنني لاحظت عندما كنت أقرأ على مسامعه البرقيات الواردة ، وقد يصل عددها في بعض الأحيان إلى ٤٠ برقية ، يجيب عليها جميعا بعد أن يسمعها دفعة واحدة . وعندما أرجع إلى مقر اللاسلكي لإرسال الإجابات أجد أن جلالته قد أجاب على حوالي ١١ برقية بالتسلسل كما سمعها مني . وإن دل هذا على شيء ، فإنما يدل على حضور وسرعة بديهته وفطنته التي شدت إعجاب الجميع .

وعندما كان جلالته يعتزم التوجه إلى الصحراء من منطقة إلى أخرى ، فإنه لا يخبر أحدا بوجهته ولا يستعين بدليل يرشده في الصحراء ، إذ هو بمسالكها عليم . كما كان جلالته يختار دائما المكان المناسب لأخذ قسط من الراحة أثناء السفر .

هوايات أخرى

الأستاذ الزامل رجل متعدد المواهب والهوايات ، فبالإضافة إلى ما سبق ذكره ، فإنه يحتفظ أيضاً بعدد من المخطوطات القديمة تمثل مراسلات أدبية مع عدد من الشعراء ، وبعضها يمثل مكاتبات خاصة وتجارية ، والبعض الآخر يمثل رسائل مختلفة في أمور الفقه والدين . ويقول الأستاذ الزامل : ان قيمة هذه المخطوطات التي بحوزته تتركز أهميتها في أسلوبها المميز . وبالإضافة إلى ذلك ، فإنه يحتفظ بمجموعة من الأسلحة القديمة ، كالمسدسات المعروفة باسم : أبو فتيل ، وجفت ، ومقمع ، وغير ذلك . كما تضم مجموعته خناجر فضية وذهبية ، وسيوفا ذهبية تذكارية .

أما في مجال الرسم ، فإن الأستاذ الزامل يهوى الرسم ، ولديه عدد من الرسومات التي تمثل في جانبها الأكبر معالم تراثية كقصر المربع بالرياض ، وجميعها من عمل يده وصنع ريشته .

الاستاذ عبدالله الزامل في سطور

- من مواليد مدينة عنيزة بالقصيم .
- حاصل على شهادة المعلمين من منطقة الحجاز .
- انتقل عام ١٣٤٤ هـ مع والده إلى مكة المكرمة ، وفيما بعد انتقل إلى الرياض ليعمل كمأمور لاسلكي للشنطة الملكية أيام جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ، وفيما بعد عمل موظفا لدى جلالة الملك سعود ، رحمه الله .
- تنقل في عدد من وظائف الدولة منها : رئيس حركة لأول كراج للدولة في جدة ، ومدير مستودعات بوزارة المواصلات ، ومفتش الشؤون الفنية بوزارة المواصلات وغير ذلك .
- مؤلفاته : « أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود » صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٣٩٢ هـ ، « من الأدب الشعبي » صدرت طبعته الأولى عام ١٣٩٨ هـ ، « أضواء على الأدب الشعبي » ، « الملحمة الشعبية في تأسيس الملك عبد العزيز آل سعود للمملكة العربية السعودية » صدرت عام ١٣٩٩ هـ ، أما مؤلفاته الجاهزة للطبع فهي : « رحلات عقيل » ، « لمحات » ، « من حقيبة الذكريات » ، « ملحمة عن الملك فيصل » . أما الدواوين التي لم تطبع حتى الآن ، فهي خمسة ، اثنان بالأدب الفصيح وثلاثة بالأدب الشعبي .
- قدم عددا من البرامج الثقافية والاجتماعية في الإذاعة والتلفزيون ، منها : « صور من الحياة » في إذاعة جدة عام ١٣٨٠ هـ ، « الفنون الشعبية » و « برنامج البادية » في إذاعة الرياض .. وفي التلفزيون قدم برامج : «مساكم الله بالخير» ،و«أضواء على الأدب» ، و « الفنون الشعبية » ، و « هذه بلادنا » .
- يشغل حالياً رئيس قسم الفنون الشعبية بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض .

تراث الجاحظ .. بين جائزتي
الملك فيصل العالمية ومجمع اللغة العربية

بقلم : د . يوسف نوفل - الرياض

فاز المحقق العلامة الأستاذ عبد السلام هارون عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة بجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٠١ هـ في فرع الأدب .

أما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ – ٢٥٥ هـ) وهو إمام من أئمة البيان العربي ، عاش في العصر الذهبي للآداب والعلوم في عهد هارون ، والمأمون ، وقد عاصر أعلاماً كباراً منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ – ٢٠٩ هـ) ، والمدائني (١٣٥ – ٢٢٥ هـ) ، والكلبي (٠٠٠ – ٢٠٦ هـ) ، وأمثالهما .

وقد خرج الجاحظ عن زهاء ثلاثمائة وستين مؤلفا في معارف شتى ضاع معظمها ضمن ما فقدناه من تراث نفيس ، واتسم منهجه في التأليف بالإبتكار والطرافة والدعابة والفكاهة والتكرار .

وكان للجاحظ ورّاقون يكتبون له وعنه ، ويعد أول واضع لكتاب عربي عن الحيوان ، وإن سبق بمحاولات عن بعض الحيوانات وبخاصة الإبل لكل من : السجستاني ، والأصمعي ، وأبي عبيدة ، والنضر بن شحيل ، والكلابي ، والباهلي .

أما العلامة المحقق عبد السلام هارون ، فقد أنفق في مجال التحقيق وإحياء التراث أكثر من نصف قرن حرص خلالها على توجيه طاقاته وجهوده نحو هذا الفن ، وكان باكورة ذلك إخراجه أول كتاب محقق له وهو « خزانة الأدب للبغدادي » (١) . ومن عجب أنه أتم تحقيق الجزء الأول منه بعد نيله « البكالوريوس » عام ١٩٢٨ م ، وما أن أتم دراسته العليا في مدرسة دار العلوم العليا في يونيو سنة ١٩٣٢ حتى أتم تحقيق أربعة مجلدات من هذا المصدر الكبير .

ومضى الأستاذ هارون في التحقيق ، وصار أنشط أعضاء لجنة إحياء تراث أبي العلاء التي كونها طه حسين سنة ١٩٤٣ ، وكان معه فيها مصطفى السقا ، والابياري وأمثالهما . ثم حصل على الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي نظمها المجمع اللغوي بالقاهرة سنة ١٩٤٩ – ١٩٥٠ بتحقيق كتاب الحيوان (٢) للجاحظ في ثمانية مجلدات (٣٨٩٠ ص) فيما بين ١٩٣٨ و ١٩٤٧ ، أما الجائزة الثانية فكانت مناصفة بين الدكتور طه الحاجري والدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » .

ولسنا بصدد الإفاضة في التعريف بنشأة الأستاذ عبد السلام هارون وإسهامه الأكاديمي في حقل التعليم الجامعي أو تفصيل القول في مؤلفاته وتحقيقاته وهي كثيرة جمة ، ولكننا نتوقف عند مكتبة الجاحظ حيث فاز عالمنا « هارون » بباكورة ما حققه منها ، وهو المجلدات الثمانية من كتاب الحيوان بجائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ثم بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاما بجائزة الملك فيصل العالمية بما حققه من تراث للجاحظ وغيره ، إذ حقق من كتبه : « البيان والتبيين » في أربعة مجلدات (٣) ، و « العثمانية » في مجلد (٤) ، و « البرصان والعرجان » في مجلد أيضاً (٥) ، ورسائل الجاحظ (٦) في أربعة مجلدات ويشتمل على ٤٥ كتابا ورسالة .

والحق أن من يتابع النشاط العلمي للأستاذ هارون ، يجده مهتما بمكتبة الجاحظ في غير ما حققه له أيضاً ، إذ تراه ينشر مقالات وبحوثا حول مكتبة الجاحظ نذكر منها :

مكتبة الجاحظ (٧) ، وحول كتاب الحيوان للجاحظ ، رد على الأب أنستاس الكرملي (٨) ، والجاحظ والمعلمون (٩) ، وحول كتاب الحيوان ، رد أيضاً على أنستاس (١٠) ، كما حرص من بعد على تبسيط كتاب « الحيوان » فقدّم « تهذيب كتاب الحيوان » (١١) .

ونقف الآن وقفة عاجلة أمام هذين العملين : « الحيوان » و « البيان والتبيين » .

الحيوان (١٢)

صدّر المحقق كتابه بما يبين تأثره ببيان الجاحظ ، إذ مضى كما يذكر – في مثل صورة بيان الجاحظ قائلا في مطلع التقديم :

« عمر الله باليقين قلبك ، وأفاض عليك من الخير ، وعقد بيننا وبينك سببا من الرضا ، وحبّب إلينا كما حبّب إليك الحق ، وأمتع عينيك وقلبك

---

(١) دار القلم ٦٦ – ١٩٦٩ ، والهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ – ١٩٧٧ .

(٢) الحلبي ، ١٩٣٨ – ١٩٤٧ .

(٣) لجنة التأليف ، ١٩٥١ .

(٤) دار الكتاب العربي ، ١٩٥٥ (٣٨٦ ص) .

(٥) في مجلد واحد .

(٦) مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٤ ، ثم أصبحت ٤٥ رسالة وكتابا في ٤ مجلدات .

(٧) صحيفة دار العلوم بالقاهرة – أبريل ١٩٤٣ .

(٨) المقتطف – نوفمبر ١٩٤٤ .

(٩) الكتاب – أغسطس ١٩٤٦ .

(١٠) الثقافة ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٥ .

(١١) مطبعة الرسالة ١٩٥٧ (مجلد واحد ٣٠٧ ص) .

(١٢) الحلبي ، القاهرة ط ١ ١٣٥٧ هـ و ط٢ ١٣٨٤ هـ .

بما سيطالعك من عجب الجاحظ ، وما افتن فيه وأبدع ، وأضفى عليك البشاشة وأسبغ ظل العافية » (١٣) .

ثم يقف بنا العلامة المحقق في هذا التقديم المطول على التعريف ببيان الجاحظ وتآليفه في عصره ، ومنهجه ، وقيمة كتبه ، وذيوعها ، ودواوينه ، ومنزلة كتابه « الحيوان » بين ما ألف في هذا المجال حتى يصل إلى مصادر الجاحظ في هذا الكتاب وهي خمسة :

- القرآن الكريم ، وحديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم .
- الشعر العربي وبخاصة البدوي منه .
- كتاب الحيـوان لأرسطو .
- جهود المعتزلة وعلمـاء الكلام .
- خبرة الجـاحظ الشخصية .

يقول المحقق في بيان قيمة كتاب الجاحظ :

« وقد يوهم اسمه أنه قد خصص بالحيوان وما يمت إليه بسبب ، ولكن الحق أن الكتاب معلمة واسعة وصورة ظاهرة لثقافة العصر العباسي المتشعبة الأطراف » .

والحق أن كتاب « الحيوان » قد حوى طائفة من المعارف الطبيعية ، والفلسفية ، والجغرافية ، والطبية ، والعادات العربية ، والشعر العربي ، والأمثال ، والفكاهة .

ولقد حرص المحقق — إدراكا لهذه الحقيقة — على أن يلحق بالكتاب لأجناس الحيوان أعلامه ، وأعلام الناس ، والقبائل والطوائف ، والبلدان والأماكن ، والأمثال ، والشعر ، والأرجاز ، واللغة ، والكتب ، وأيام العرب ، والمعارف العامة .

ويذكر المحقق أنه قضى ذات يوم ست عشرة ساعة متواصلة في يوم واحد في تنظيم فهرس كتابه هذا ، لم يغادر مكتبه إلا لأداء فريضة أو تناول طعام سريع .

المحقق والكتاب

يذكر المحقق أن أول عهده بدراسة هذا الكتاب كان منذ سنة ١٣٥٣ هـ حيث كان يقرأ أو يدون تصحيحاته على جوانب هذا الكتاب .

ثم لما عاد إليه أفاد مما صنع ، وشرع يقارن بين النسخ المخطوطة والمصورة ، ويذكر بأمانة العلماء تشجيع الشيخ أحمد محمد شاكر وإرشاده .

كما عاد إلى كثير من المراجع في مجال التحقيق مشيدا بجهد ابن قتيبة (٢١٣ — ٢٨٦ هـ) في كتبه بما وثق كثيرا من نصوص الحيوان ، إذ كان الجاحظ قد أجازه برواية بعض كتبه كما يذكر ابن قتيبة (١٤) .

ومن إضافة المحقق ترتيبه للكتاب ترتيبا حديثا دون إخلال بوضعه الأول ، واضعا عناوين إضافية ذات أقواس خاصة تمييزا لها عما وضعه الجاحظ .

(١٣) ص/٣ ط/٣ جـ/١ .
(١٤) عيون الأخبار ٣ : ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ .

مع جائزة الملك فيصل

أما ما يقع في نطاق الفوز بجائزة الملك فيصل مما حققه عبد السلام هارون فهو التراث الذي ينسب إلى القرنين الثاني والثالث الهجريين ، ومنه ما ذكرنا من كتب الجاحظ ، إلى جانب كتب لكل من : أبي عبيدة معمر بن المثنى ، ونصر بن مزاحم ، وابن هشام ، والمدائني ، وابن حبيب .

كما يضاف إلى ذلك تحقيقه لأكثر من سبعين كتابا منفردا ، ونحو سبعة كتب اشترك مع غيره في تحقيقها من أمثال : السقا ، والابياري ، وأحمد شاكر ، وأحمد عبد الغفور عطار ، وعبد العال سالم .. ونقف الآن مع كتاب « البيان والتبيين » (١٥) :

يقع هذا الكتاب في أربعة مجلدات (١٥٧٧ ص) . وإذا كان « الحيوان » هو الكتاب الأول من مكتبة الجاحظ فإن « البيان والتبيين » هو الكتاب الثاني من هذه السلسلة كما يصرح المحقق في مقدمته ، وهو — كعادته — يصنع له مقدمة مطولة — كما صنع في الكتاب الأول يذكر فيها جملة من الأمور المتصلة بالجاحظ وكتابه .

كما يضع له أيضاً فهارس للبيان والبلاغة والخطب والرسائل ، والوصايا ، والأشعار ، والأرجاز ، والأمثال ، والاعلام ، والقبائل ، والبلدان ، وأيام العرب ، ومعالم الحضارة ، والكتب . يقول المحقق في مطلع مقدمته :

« وهذا الكتاب هو الحلقة الثانية من سلسلة مكتبة الجاحظ التي أخذت نفسي بإخراجها وجلائها على الناس ، وهو ، لا جرم ، أسير كتب أبي عثمان وأكثرها تداولا ، وأعظمها نفعا وعائدة ، فيه تخرج كثير من الأدباء ، واستقامت ألسنهم على الطريقة المثلى ، فهو أستاذ أرهاط متعاقبة من المتأدبين ... » (١٦) . كما يقول مبينا مدى ما يعانيه المحقق :

« عندما فرغت من تحقيق تلك المعلمة الكبيرة ، أعني كتاب الحيوان ، رأيت أن ألتمس شيئاً من الهدوء والروح ، أثر ذلك المجهود العاتي ، ولكن تلك الرغبة الملحة في بعث مكتبة الجاحظ ، وهي رغبة توشك أن تكون جهادا حملتني أن أدخل في الميدان كرة أخرى ، استجابة لدعوة النفس ، وتلبية لإرادة صديق كريم أثير لدي هو الأستاذ عبد السلام محمد الناظر » (١٧)

وما سماه المحقق « جهادا » و « مجهودا عاتيا » هو بعينه ما أستحق أن يحصل على هذا النصر الأدبي الكبير بالفوز بجائزة الملك فيصل العالمية ، إلى جانب الجهود اللغوية والجامعية والثقافية للعالم المحقق الأستاذ عبد السلام هارون الذي قدم للمكتبة العربية خير عطاء علمي بإحياء طائفة من كتب التراث .

(١٥) ص/٣٨ ، وكتبها بتاريخ رجب ١٣٥٧ هـ .
(١٦) لجنة التأليف ١٩٥١ (٤ مجلدات ١٥٧ ص) .
(١٧) ص/٥ المقدمة جـ١ ط ٣ الخانجي ، القاهرة .

أخبـــار الكتب

• صدر العدد الأخير من رسالة معهد رأس الخيمة العلمي للعام الدراسي الحالي ١٤٠٠ – ١٤٠١ هـ ، وقد حمل العدد بين طياته مواضيع ثقافية متنوعة ، إضافة إلى المستوى الجيد لطباعته وإخراجه وتبويبه .

• صدرت طائفة جديدة من المعاجم والموسوعات منها « قاموس الفولكلور » عربي / انكليزي / فرنسي للدكتور أحمد زكي بودي ونشر دار الفكر العربي ، و « معجم العبارات السياسية الحديثة » انكليزي / فرنسي / عربي للدكتور مجدي وهبة والأستاذ وجدي رزق غالي ونشر مكتبة لبنان ، و « موسوعة الاقتصاد الإسلامي » للدكتور محمد عبد المنعم الجمال ونشر دار الكتاب المصري بالاشتراك مع دار الكتاب اللبناني .

• طائفة من الكتب الجديدة تتناول موضوعات علوم الاتصال والاعلام صدرت أخيرا ، منها الترجمة العربية لكتاب « مقدمة إلى وسائل الاتصال » تأليف ادوين واكين ونشر مركز الأهرام للترجمة العلمية ، و « مراكز المعلومات : تنظيمها وإدارتها وخدماتها » تأليف بولين أثرتن وترجمة الدكتور حشمت قاسم ونشر مكتبة غريب ، و « الصحافة في عقدين ١٩٦٠ – ١٩٨٠ » للدكتور صليب بطرس ونشر المركز العربي للصحافة ، و « التفسير الإعلامي للأدب المعاصر » للدكتورين محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف ونشر دار الفكر العربي .

• كتابان جديدان صدرا عن الخليفة عمر بن الخطاب ، أولهما للأستاذ عبد الكريم الخطيب وعنوانه « عمر بن الخطاب » وقد نشرته دار الفكر العربي ، وثانيهما عنوانه « خلافة عمر بن الخطاب » من تأليف الأستاذ مأمون غريب ونشر مكتبة غريب .

• ومن كتب السير التي صدرت أخيرا « محمود بن الحسين بن محمد ابن السندي بن شاهك بن زادان بن شهريار الرازي الساساني المعروف بأبي الفتح كشاجم في آثاره وآثار الدارسين » وهو ملخص لأطروحة دكتوراة أعدتها الدكتورة ثريا عبد الفتاح ملحس وصدر عن دار الكتاب اللبناني ، و « إمام الصابرين أحمد بن حنبل » للأستاذ عبد العزيز المسند ونشر المكتبة الصغيرة التي يصدرها في الرياض الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، و « أبو زيد الأنصاري ونوادر اللغة » للدكتور محمد عبد القادر ونشر مكتبة النهضة المصرية ، و « الحسن البصري » للدكتور مصلح سيد بيومي ونشر مكتبة النهضة ، و « حجة الإسلام الإمام الغزالي » للأستاذ مأمون غريب ونشر مكتبة غريب .

• وفي سلسلة الكتب الببليوغرافية عن أعلام الأدب المعاصر التي تعدها الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، صدرت ثلاثة كتب جديدة عن إبراهيم عبدالقادر المازني وعبد الرحمن شكري وأحمد أمين ، وقامت بنشرها دار الكتاب المصري بالاشتراك مع دار الكتاب اللبناني . وقد سبق صدور كتابين في هذه السلسلة عن طه حسين وعباس محمود العقاد .

• صدر الجزء الثاني من « ديوان العواد » للشاعر السعودي الراحل محمد حسن عواد ، وهو يضم ثلاثة من دواوينه هي «الساحر العظيم» ، و « في الأفق الملتهب» ، و « رؤى أبولون » ، ونشرت هذا الديوان مطبعة دار العالم العربي . وينتظر أن يصدر كتاب تذكاري عن العواد ويتضمن طائفة كبيرة من الدراسات التي كتبها أدباء الحجاز ومصر في دراسة آثار هذا الأديب الكبير من شعر ونثر .

• ومن الدواوين الجديدة التي صدرت « رباعياتي » للشاعر السعودي محمد سعيد العامودي ، وقد صدر في السلسلة الشعرية التي ينشرها الأستاذ عبد العزيز الرفاعي بمقدمتين ، إحداهما للأستاذ الرفاعي والثانية للدكتور محمد رجب البيومي ، وديوان « رنين الصمت » للشاعر محمد عمر الطوانسي ونشر مطبعة المدني ، وديوان « أحلى أوقات العمر » للدكتور كمال نشأت ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « أحزان الأزمنة الأولى » للأستاذ نصار عبد الله ونشر الهيئة المصرية .

• توفي في الأرجنتين في العشرين من مارس الماضي الأديب الشاعر القاص المهجري الأستاذ إلياس قنصل متأثرا من جراحة عاجلة أجريت له في الوريد .

ويعتزم شقيقه الشاعر المهجري زكي قنصل إعادة طبع كتبه المنشورة ، ونشر ما تركه الفقيد من آثاره المخطوطة .

• حقق الدكتور علي عبد العظيم « ديوان ابن زيدون ورسائله » في طبعة كبيرة نشرتها دار نهضة مصر .

• وقد صدرت مسرحية شعرية عن ابن زيدون بعنوان « الأمير العاشق » للشاعر الأستاذ فاروق جويدة ونشرتها مكتبة غريب .

• من الكتب الدينية التي صدرت أخيرا « إسلام لا شيوعية » للدكتور عبد المنعم النمر ونشر مكتبة غريب ، و « مع الإيمان في رحاب القرآن » للدكتور محمد محمد خليفة ونشر مكتبة النهضة المصرية ، و « الخطابة : أصولها وتاريخها » للعلامة الراحل الشيخ محمد أبي زهرة ونشر دار الفكر العربي ، و « فلسفة التربية الإسلامية في القرآن » للدكتور أحمد أبو العينين ونشر دار الفكر ، و « مبادىء القضاء الشرعي » في جزئين للأستاذ أحمد نصر الجندي ونشر دار الفكر أيضاً .

• طائفة من كتب التربية وعلم النفس صدرت أخيرا منها « حياتنا في ضوء علم النفس » للدكتورة سمية فهمي ونشر مكتبة النهضة المصرية ، و « الطفل الموهوب » للدكتورة أميمة أمين ونشر دار الفكر العربي ، و « نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة » للدكتورة فوزية دياب ونشر مكتبة النهضة المصرية .

• كما صدر دليلان للوالدين احدهما « في رعاية الأبناء » وهو من تأليف الدكتور أحمد السعيد يونس ، وثانيهما « في معاملة المراهقين » من تأليف الدكتورة كاميليا عبد الفتاح ، وقد نشرت الكتابين مكتبة النهضة المصرية .

• كتاب عن « عالم الطاقة الشمسية » صدر للمهندس حشمت أمين عامر عن دار الفكر العربي .

• « العملة وتاريخها » كتاب في علم النميات صدر للأستاذ حسن محمود الشافعي عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

• استأثرت الدراسات الأدبية بالقسط الأوفر من الكتب الجديدة ، وقد صدر منها ما يلي : « دليل الناقد الأدبي » و « دليل الناقد الفني » للدكتور نبيل راغب ونشر مكتبة غريب ، و « استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر » للدكتور علي عشري زايد ونشر الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، و « ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة » للأستاذ جلال العشري ونشر الهيئة المصرية ، و « اتجاهات النقد الأدبي العربي » للدكتور محمد السعدي فرهود ونشر دار الطباعة المحمدية ، و « أضواء على الأدب الحديث » للدكتور أحمد محمد الحوفي ونشر دار المعارف ، و « الذين أدركتهم حرفة الأدب » للأستاذ طاهر أبي فاشا ونشر دار الشروق ، و « الشعر في السودان » للدكتور عبده بدوي ونشر المجلس الوطني للثقافة في الكويت ، و « نحو بلاغة جديدة » للدكتورين محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف ونشر مكتبة غريب ، و « خواطر ثروت أباظة » للأستاذ أباظة ونشر دار نهضة مصر ، و « الشعر العربي المعاصر » للدكتور عز الدين اسماعيل ونشر دار الفكر العربي ، و « الرواية الروسية في القرن التاسع عشر » للدكتورة مكارم الغمري ونشر المجلس الوطني للثقافة في الكويت ، و « الفكر الأدبي المعاصر » لجورج واطسن وترجمة الدكتور محمد مصطفى بدوي ونشر الهيئة المصرية .

• مجموعة أقاصيص عنوانها « أعترف إليك » صدرت للأستاذ أحمد فؤاد تيمور في سلسلة « اقرأ » لدار المعارف .

• وفي الأدب الروائي صدرت للأستاذ عبد المنعم الصاوي روايتان هما : « تفاحة في طبق مشروخ » و « دعوني أرو لكم قصتي » ، وصدرت للأستاذ ثروت أباظة ثلاث مجموعات وهي : « خائنة الأعين » و « نقوش من ذهب ونحاس » و « السباحة في الرمال » ، ونشرت هذه الكتب جميعها دار نهضة مصر .

طريقة تدريس الرّياضيّات الحديثة



يختلف مفهوم الرياضيات الحديثة في مراحل الدراسة باختلاف الرياضيين ، غير أنه من الثابت أنها تنمي روح الانضباط والرقابة والاتزان والهدوء لدى الأفراد الدارسين ، وتزيد من قدرتهم على الّتركيز والاستيعاب ومواجهة المشكلات ، وإيجاد حلول للمسائل المتعددة . وتعتمد اعتمادا كليا على اللغة الدقيقة والمنطق الرياضي السليم .

وتكسب عملية معالجة مسائل الرياضيات الحديثة دارسيها القوة في الإرادة والثقة بالنفس والقدرة على تمييز الخطأ من الصواب وسرعة البديهة وحسن التصرف والأداء ، كل هذا من شأنه أن يكوّن جوانب معنوية هامة في شخصية المتعلم . ومن أهم الطرق التعليمية ، طريقة الاكتشاف الشخصي في تدريس الرياضيات الحديثة التي تجعل الطلاب يتعاونون ويتضامنون في صفوف الدراسة والمختبر مما يساعدهم على احترام آراء الغير وتحمل أفكارهم مهما كانت ، وهي تقوي روح التفكير وقوة الملاحظة والقدرة على التمييز والتعود على التزام المنطق في التفكير . ويمكن أن نجمل هنا أهم محاسن هذه الطريقة وفوائدها وغاياتها :

- التفكير الجدي والتركيز .
- التوازن والثبات .
- التخيل الواسع .
- الاعتماد على القدرات العقلية .
- الفضول الذهني وحب الابتكار .
- العزم والتأكيد واتخاذ القرارات الجازمة .
- الرغبة القوية .
- السعادة الفكرية .
- صقل نفسية الفرد وتجميل حياته .

بقلم: الدكتور علي عبد الله الدفاع - الظهران

• الشعور بالمسئولية والصبر والتحمل .

إن برنامج تدريس الرياضيات الحديثة يتيح فرصة مشاركة الطالب للمدرس في تحقيق طريقة الاكتشاف . لذا يجب على الطالب أن يفهم ويلاحظ ويكتشف بنفسه الأفكار الرياضية . وقد اتفق الرياضيون في العالم على تسمية هذه الطريقة بـ « الملاحظة والاكتشاف في التدريس » . وكان سقراط – الذي عاش في أثينا قبل الميلاد – يستخدم هذه الطريقة حتى عرفت باسم « طريقة سقراط » وطورها علماء المسلمين في الرياضيات وسموها أحيانا « الطريقة السقراطية » ، وبقيت معروفة على مر العصور بهذا الاسم . كما أن بعض المدرسين لم يقر استخدام « الطريقة السقراطية » مدعين أنها مضيعة للوقت ، ولكن الصحيح عكس ذلك . والحقيقة أنهم ربما وجدوها صعبة ، وتحتاج إلى تجهيزات كثيرة أو أنهم غير قادرين على فهمها أو عاجزين عن تطبيقها أو لا يعلمون بحقيقتها . وقد نادى بصوت عال معظم الرياضيين المهتمين بأمر الرياضيات الحديثة بتطبيق « الطريقة السقراطية » في المدارس والجامعات لأنها ترتكز على الأبنية الرياضية والمنطق ، وتعطي الطالب الثقة بالنفس ليسأل ويناقش النقاط الغامضة عليه في أي موضوع سواء أكان رياضيا أم غير رياضي .

إن للطريقة التقليدية في تدريس الرياضيات جذورها الثابتة التي يصعب تغيرها في يوم وليلة . لذا يجب تطبيق طريقة الاكتشاف الذاتي بالتدريج وبأسلوب يتوخى فيه المرونة ، والعناية ، حيث أنها معروفة منذ الأزل ومتداولة بين أساتذة الجامعات .. وتتفق هذه الطريقة تماما مع طريقة تدريس الرياضيات الحديثة ، إذ كلاهما يجعل الطالب قادرا على فهم واستيعاب كثير من المفاهيم الرياضية من تلقاء نفسه . ففي أكثر الأحوال يساعد المدرس طلابه ويوفر لهم كل الإمكانات الداعية إلى إفهامهم وسرعة ملاحظتهم للأشياء واكتشاف الغامض منها . وكثيرا ما يثير الطالب تساؤلات حول أشياء دون أن تتضح لديه معالمها ، كأسئلته عن القضايا التي تعالج بالأعداد ، والتي تقوده في الغالب إلى مسائل جديدة ، قد توضح له الغامض والمتشابه . فصغار التلاميذ يميزون بسهولة بين مفاهيم الأعداد والأشكال والحجوم والأطوال والكتل والأوزان ... إلخ ، ويزيد فهمهم وتمييزهم مع نموهم بواسطة تدريبهم على هذا التفكير وبمساعدة آبائهم وأساتذتهم . وقد غيرت طريقة الاكتشاف التركيز على الحسابات والمهارات في الأعداد إلى التركيز على نموذج معين ، لقضايا متعددة من مفاهيم الأشكال والأعداد .

وتعتبر طريقة الاكتشاف أفضل طريقة في تدريس الرياضيات الحديثة ، لأنها تركز على البناء والنموذج الرياضي ثم على المنطق الرياضي . ومن الممكن أن تجعل الطالب يكتشف أمورا مهمة بنفسه ، وذلك بالتدريج والمنطق الرياضي السليم وملاحظة القضايا المترابطة والتمييز بينها ، وبإثارة الأسئلة المتعددة . وبالاعتماد على المبادىء السليمة الهامة تجعل الطالب المتوسط قادرا ، بإذن الله ، على برهنة حقائق رياضية بعدما يكون قد اكتشفها بنفسه ، أو على الأقل تجعله قادرا على متابعة وتفهم البرهان الذي يقدمه له أستاذه . وبهذه الطريقة يستطيع الطالب إجراء عملية استنتاج مبادئ ونتائج مهمة من مبدأ أساس الموضوع . كما تساعد طريقة الاكتشاف الطالب على فهم المادة بعمق أكثر وتعطيه الفرص الوفيرة للملاحظة بنفسه وتكوّن عنده روح المثابرة والملاحظة والاهتمام ، وتخاطب جميع مستويات الطلاب وتنمي روح البحث والإبداع لدى الكثيرين منهم . وبهذا يألف الطلاب المبادىء الأساسية ويتذكرونها دائماً ويستعملونها باستمرار . ويجب على الطلاب أن يتعودوا كتابة الرياضيات باللغة الرياضية الدقيقة ، وأن يركزوا بشدة على الأسلوب المنطقي ، لأن هذا يساعدهم على الفهم العميق للموضوع . ويجب أن يتمرن الطالب على عملية التحضير والمراجعة قبل كل درس ، وأن يدقق الملاحظة بين الأفكار الموجودة في الدرس ، وأن يكثر من حل التمارين الموجودة في الموضوع ، ونماذج الأعداد الهندسية كالمربع والمكعب ، والمثلث ، والمستطيل التي تساعده على فهم حقيقة الأعداد . وأيضاً على الطالب أن يقارن بين الأفكار الرياضية والمفاهيم الحياتية المشابهة لهذه الأفكار . ومن المؤكد أن الطالب يتفهم المواضيع ويتذوقها بطريقة الملاحظة والاكتشاف أكثر مما هي بطريقة التلقين والإلقاء الجاف الذي يزعزع الثقة بالنفس ويهمل جوانب النشاط لديه .

ان الرياضيات الحديثة هي أساس إثراء المجتمع بتقدم الصناعة والتكنولوجيا ومختلف نواحي المدنية الأخرى . إذن هي العمود الفقري لثقافتنا وهي العامل المساعد لتقدم حضارتنا ، وربما يكون التفكير العلمي الحديث (المعاصر) من نتاج الرياضيات الحديثة .. ونحن على يقين أن الرياضيات الحديثة لم تترك مجالا في الحياة إلا وطبعت عليه صفتها الجميلة . وهي تزرع بذور الإحساس الفني الهندسي لدى دارسيها . ولا يوجد فرع في الرياضيات الحديثة يخلو من لمسات فنية وأحاسيس هندسية تساعد على شغل أوقات فراغهم . فالمسائل الرياضية تجلي العقل وتصقل النفس وتغذيها بالنشوة والسعادة حين ينجح في حلها ، كما أنها تجعل الطالب يشعر بالخيبة والخجل عند الفشل .

وبوجه عام فان التعليم هو عملية تحضير الكفاءات والنشاطات عند الفرد حتى يتسنى له مواجهة مشكلات الحياة بحزم وصرامة . ويقول هربرت جه نستم : « التعليم يطور الطالب في قواه وأحاسيسه ليكون أقدر مما كان عليه قبل التعليم .. والطالب يؤدي نتائج أحسن وأطيب لا تأتي بدون التعليم » . وأضاف براج فيرا : « التعليم يجعل الفرد غير أناني ويعتمد على نفسه دائماً » . ويضيف داوي قائلا : « إن التعليم هو العملية التي بواسطتها يتهذب سلوك الطالب وتتحدد معارفه في نماذج وكذلك سلوكه وأخلاقه وتصرفاته » .

إذن أهم هدف للتعليم هو تطوير شخصية الفرد سواء كان من الناحية الفردية أو الاجتماعية .. فعلى الصعيد الفردي يطور التعليم شخصية الطالب ، وينمي مواهبه ، ويصقل فطرته ، ويهذب أخلاقه ، ويوثق ثقته بنفسه ، فينمو بأمر الله جسمياً وفكرياً . وعلى الصعيد الاجتماعي يعمل التعليم على إعداد الطالب إعدادا صالحا يجعله قادرا على العيش الكريم في بيئته وتحت الظروف المحيطة به فيكون شخصا نافعاً لوطنه في المستقبل .

ولاشك أن مسؤولية كبرى ملقاة على عاتق مدرسي الرياضيات الذين عليهم أن يتصفوا بـ : تجربة حكيمة ، وممارسة لمهنة التدريس ، وإرادة قوية ، وخلفية رياضية جيدة ، حتى يتمكنوا من جعل طلابهم يفهمون من الرياضيات أمورا كثيرة من خلال تجاربهم وملاحظاتهم الخاصة . فعلى المدرس أن يعرف ما له وما ينبغي عليه تقديمه تجاه الطالب ، وعليه أن يكون ذا مستوى رياضي أعلى بكثير من المستوى المفروض أن يدرسه للطلاب ويجب أن يكون مثقفا ، واثقا بنفسه ، وقوي الشخصية ، وذا خلق جيد وقلب رحيم . ويجب أن يراعي المستويات المختلفة للطلاب ، فيشرح لهم الدرس بأسلوب سهل ومفهوم .

وهناك تشابه كبير بين الأنظمة الرياضية ونماذج التفكير الموجودة لدى البشر ، ولذا يمكن القول بأن أهداف التعليم ونماذجه شبيهة كلية بنماذج الرياضيات الحديثة .. ويمكن إيجاز ما تقدم فيما يلي :

• بناء الرياضيات الحديثة على المنطق . وقد قال العالم الرياضي والفيزيائي سينج : « إن الرياضيات مؤلفة من عبارات أولية وقوانين منطقية ونظريات ، وان المنطق بمثابة سكة الحديد التي ينزلق عليها الفكر للوصول إلى النظريات » .

• تدريب الطالب على التفكير الاستنتاجي لا على القيام بالعمليات الحسابية أو الجبرية أو الهندسية المعقدة دون استيعاب للمفاهيم الرياضية . وقد ذكر العالم الرياضي المشهور جورج بوليا : « ان الهدف الأول والأخير من تدريس الرياضيات هو تدريب الطالب على التفكير المنتج المفيد » .

• تنمية موهبة الطالب على البحث وراء الأسباب والتعليلات لما يقرأ ، وتطوير حاسة الحدس لديه ، كما يجب تشجيعه على النقد البناء .

• التقليل من حفظ النظريات وتشجيع الطالب على استيعاب جوانب الرياضيات من حيث تركيبها الداخلي وعلاقتها مع فروع المعرفة الأخرى .

• إيضاح الأفكار الرياضية بأمثلة وتمارين من البيئة المحيطة بالطالب كلما أمكن ذلك ، كما يجب إقناع الطالب بأن الرياضيات دائمة التطور والنمو وليس للبحث فيها حدود وأن هناك الآن الكثير من المسائل الرياضية التي لم يعرف لها حل رغم قدمها ورغم محاولة الكثير من الرياضيين إيجاد حل لها .

• تنمية فكرة ابتكار نظريات جديدة حول بعض المفاهيم الرياضية . والتأكد من أن الرياضيات ليست مجرد حلول لمسائل ، ولكنها بالإضافة إلى ذلك فلسفة وطريقة تفكير رياضية .

• إفهام الطالب أن برهان النظرية في الرياضيات ليس أهم ما فيها ، ولكن المهم في النظرية هو فهم منطوقها ، وما الدوافع إلى ابتكارها ؟ ولماذا يتعين عليه دراستها ؟

• تنمية حب « تطور الفكر الرياضي » لدى الطالب وذلك بإعطاء أمثلة حول الأفكار الرياضية التي ابتكرها علماء المسلمين في الرياضيات مثل الخوارزمي ، والبيروني ، والكرخي ، والكندي ، ونصير الدين الطوسي ، وبهاء الدين العاملي ، والكاشي ... وغيرهم ، حتى يتولد لدى الطالب حب لتقييم عمل الباحثين في الرياضيات ، ولاشك أن هذا يكّون لدى الطالب ثقافة رياضية عامة تمكنه من أن ينقلها إلى أصدقائه وذويه . ولقد قال الدكتور أحمد عبد الستار الجواري رئيس اتحاد المعلمين العرب : « إن الرياضيات هي إدارة العقل البشري وسبيل من أهم سبله ، ووسيلة من أهم وسائله . إنها اكتشاف الحقائق بالحساب والقياس ، وإثراء الحياة بحقائق العلم ، وأساس من أهم الأسس لتطبيق حقائق العلوم على واقع الحياة » .. وقال عالم الرياضيات ، في القرن التاسع عشر الميلادي ، كارل قاوس : « لقد كانت الرياضيات تدرس لتستعمل في العلوم فكانت كخادمة للعلوم ، أما اليوم فينبغي أن تقدم كخادمة وملكة للعلوم في آن » .

وعلى مدرّس الرياضيات الحديثة واجبات كثيرة منها :

• أن يأخذ بأيدي طلابه إلى المستوى المطلوب .

• أن يوضح للطالب العلاقة بين المعطى في المسألة والمطلوب منها ، حتى يتمكن من تحديد معالمها وفهمها جيداً .

• أن يسأل طلابه أسئلة مفتوحة وأن يطرح عليهم مسائل تحتاج إلى نشاط في التفكير للحل . إذ أن الأسئلة المفتوحة تكوّن لدى الطالب المقدرة على التفكير والاستنتاج أكثر من الأسئلة العادية المباشرة ، وعلى الطالب أن يراجع ما حله .

وفي الختام ، نرى أنه يجب أن يكون لدى أستاذ الرياضيات ، سواء في المدارس أو الجامعات ، إلمام جيد بالتراث العلمي العربي الإسلامي ، لأن في كثير مما يترجم عن أبحاث الغربيين في الرياضيات التقليدية أو الحديثة تجاهلا لما قدمه علماء العرب والمسلمين للحضارة والعلوم .


وجه من القصيم .



صوامع الغلال التي تستقبل محصول القمح في القصيم .